


**محمد عمر توفيق**



جامعة أم القرى - مكة المكرمة

*فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر*

توفيق، محمد عمر
حكايات. / محمد عمر توفيق - جدة، ١٤٢٥هـ
١١٢ص ؛ ٢١سم

ردمك: ٢-٤٠٨-٤٤-٩٩٦٠

١- القصص القصيرة العربية - السعودية أ. العنوان
ديوي ٨١٣,٠١٩٥٣١ ١٨٨ / ١٤٢٥

رقم الايداع: ١٨٨ / ١٤٢٥
ردمـــك: ٢-٤٠٨-٤٤-٩٩٦٠



**الطبعة الأولى**
**١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م**

الغلاف: الفنان عبادة الزهيري





# حكايات



# المقدمة

**بقلم: أ. د. سهيل بن حسن قاضي**

لا تنحصر رسالة الجامعات - وهي تعتبر بالدرجة الأولى من أهم مراكز صناعة المعرفة ونقلها - في القيام بالمهمة التعليمية وتخريج الطلاب فحسب، وإنما تمتد لتشمل إلى جانب ذلك تنمية البحث العلمي عامة وإنتاج المعرفة ونشرها، والعمل على خدمة المجتمع الذي تقوم فيه، فيما يتصل بتيسير وسائل التعلم والتدرب، وتقديم البرامج التأهيلية والتوعوية، بما يتوافق مع احتياجات أفراد المجتمع ومتطلبات سوق العمل الآنية والمستديمة. ومن هنا كانت عناية الجامعات بالجانب التطبيقي للعلوم عنايتها بالجانب العلمي البحت، جمعاً بين المعرفة النظرية وخبرة التدرب والممارسة العلمية.

وإذا كان الجهد البحثي لبعض الجامعات قد ركز على خدمة معطيات تراث الأمة ورجال هذا التراث،

فـان جـانبـاً منه اتجـه الـى العناية بآثار المعـاصـرين والتـعـريف بهم ونشـر إسـهـامـهم، ضـمن مـا تعنى به الجامعة من دراسة قضايا المجتمع والبيئة.

ومن هذا المنطلق جاء اهتمام جامعة أم القرى بنشر نتـاج أحـد كـبـار رجـالات الأدب والفكـر في البـلاد الشيخ محـمـد عـمـر توفـيق رحـمـه الله، حيث قامت ـ اتفاقاً مع ورثته حفظهم الله ـ على جمع ونشر أعماله التي شـمـلت مناحي مـتـعـددة من الكتـابة الأدبيـة والإبداعـيـة، وأكـثـرها من قـبـيل النقـد الأدبي والاجتمـاعي. فـقـد كـان، غـفـر الله له، صـاحب رأي ومـوقف وأسلوب فـيمـا يواجهـه من أمور الحيـاة، ومـا يعيشـه من واقع المجتمع.. فكتب وكتب.. مادحاً وحامداً ومشيـداً بمن رآه وما رآه يستحق الحمد والثناء، وكتب ناصحاً مشفقاً وناقداً منددا بما كان يثيره ويستفزه من سلبيات المظاهر والمواقف والسلوكيات.

وكان رحمـه الله غائياً في أدبه، منتمياً في فكره إلى هوية أمته، محتكماً إلى مراجعيّتها فيما ألزم به نفسه، وفيما دعا إليه: مرغباً فيه أوعنه.. هدفه إحقاق الحق ودفع البـاطل، مع الجـرأة في ذلك، ودونما كلل وملل أو تقـاعس أو ممالأة ومـحـاباة أو خـشـيـة أحد. كـان ذلك دأبه وديدنـه. لا تكاد تتـفـاوت سـيـرة حـيـاته العلمـيـة والأدبيـة ـ كـمـا عـرفـهـا خلصـاؤه ـ في أي من مـراحل

حياته، شاباً يافعاً أو كهلاً وشيخاً. هذا مع الاعتداد بسنة التطور.

وما بين أيدينا من أعماله، ومعظمه من نتاج مقتبل عمره، لا نلحظ فيه كبير اختلاف في الاتجاه والنهج، أو تحولاً في المواقف. ومرد ذلك ـ فيما يلوح ـ ما طبعه الله عليه من مقومات الشخصية والاستعداد الخاص. كما يعود ـ بدرجة كبيرة ـ إلى ظروف نشأته، وتأثير البيئة الثقافية والاجتماعية، ومحيط الرعاية الأسرية، التي كانت ـ وهي ترى أن التربية والأخلاق يأتيان أولاً وقبل أي مكتسب ـ تحرص على أن (يسترجل) أبناؤها منذ طراوة سنهم فتعودهم على الجدية والالتزام والانضباط.. حيث يراد بالرجولة اجتماع خصال الشرف والشهامة والشجاعة وتحمل المسئولية. ويومها لم يكن الوالد ولا الوالدة وحدهما يعنيان بتربية الأبناء وغرس مبادئ الخير والحق فيهم، وإنما كان العم والخال والأستاذ والجار، وكل من قُدِّر له أن يشهد حالاً مائلة أو مائعة من أحد أبناء الحي ومن غيرهم، يسارع من باب الحسبة والنصيحة الى تقويمها بما اصطلح عليه عرف المجتمع من وسائل وقد أثمر هذا جيلاً أو أجيالاً واعية راشدة.

وكان من وراء نبوغ محمد عمر توفيق رحمه الله وتميزه، بالإضافة إلى تأثير محيطه وحفظه للقرآن

الكريم، تلقيه العلم في إحدى أميز مدارس العصر: مدرسة العلوم الشرعية بالمدينة المنورة، وتتلمذه على بعض مشايخ علماء الحرمين الشريفين.

والحديث يطول عن الخلف القائم اليوم في جانب أو أكثر من جوانب حياة أجيال هذا الزمان وأجيال الماضي القريب والبعيد. وفي كل خير.. ولكل محاسنه ولكن الاعتداد بما يسود ويغلب، وبذلك تتفاضل العصور والمجتمعات وتتمايز. وأخذ العظة والقدوة مطلوب في كل حين.

وكان إلى ذلك يتصف بحسن التأتي للأمور، واتخاذ الأسلوب المناسب للوصول إلى القلوب والعقول. وتلك مزية كبرى اختص بها. ومن أجلها ومن أجل ما تدل عليه من الحكمة والاستقامة ووضوح الشخصية وتماسكها، وحب الخير للغير، كان قريباً من الكبير والصغير.. من القيادة ومن خاصة الناس وعامتهم.

وإني إذ أقدم اليوم للكتاب السابع في سلسلة الأعمال الكاملة لهذا الأديب، استجابة لدعوة كريمة من أبنائه ـ أجد من المناسب أن أؤكد هنا على أهمية دور الجامعات في التعريف بمعالم وأعلام النهضة العلمية والأدبية في البلاد، وأن أسجل الشكر والتقدير لورثة الشيخ، الذين أتاحوا لجامعة أم القرى، بمبادرتهم وتعاونهم، أن تنهض بنشر أو إعادة نشر ما كان نشر

في الماضي من أعماله، وفاء منها لذكراه، وتعميماً للفائدة والنفع بين أجيال المجتمع.

وأذكر أنه حين انعقد العزم قبل أربع سنوات على تولي الجامعة نشر أعمال محمد عمر توفيق تباعاً، كنت بين أن أعهد بالمهمة إلى لجنة أو فريق يتولى مراجعتها وإعدادها للطبع، أو أوكل ذلك إلى شخص واحد، يتابع السلسلة من أولها إلى آخرها، فاخترت د. صالح جمال بدوي وكان حيث أمّلت، وهو من ذوي الاختصاص بالأدب العربي السعودي. وصدر حينها من هذه السلسلة ثلاثة كتب هي: «رجال ذهبوا» و«تأملات وذكريات» و«في دنيا الفكر والصحافة» فحمداً لله على ما تحقق، وحمداً لله أن أمضت الإدارة الحالية للجامعة ما تم الشروع فيه، على نحو ما هو مؤمل، وما هو معهود في شخص مديرها الزميل أ. د. ناصر بن عبد الله الصالح. فأصدرت الكتاب الرابع في السلسلة وهو مجموعة شعرية بعنوان: «نظم من الأحزان» والخامس«أدبيات» والسادس «أضواء على الطريق».

وها هو الكتاب السابع في هذه السلسلة يصدر اليوم بعنوان «حكايات» يليه، وقد جهز للطبع «رسائل محمد عمر توفيق.. منه وإليه».

واقف عند هذا لأدع «حكايات» تحكي عن نفسها ومغزاها وشخوص أبطالها.. ويظل الفضل مرعياً

ومحفوظاً لكل من أسهم في إخراج هذا العمل وابتدر هذه الخطوة التي نرجو أن تليها خطوات، ولكل من تلقاه بقبول حسن وأفضل بالتعليق عليه.

فجزاهم الله كل الخير، وهو من وراء القصد موفقاً ومعيناً ،،

**أ. د. سهيل بن حسن قاضي**

**مدير جامعة أم القرى السابق**

# مذكرات مجهول - ١ -

هذه مذكرات صديق من الطبقة الدنيا.. اكتشفته فجأة، وأباحني الكثير من سره وخواطره، وتوثقت بيننا العلاقة فأباحني قراءة مذكراته هذه. واستأذنته لنشرها فأذن على أن لا أُعره أو أقول عنه، غير ما يقول عن نفسه في مذكراته، وقد اشترط علي أن أدفع عنه فضول القارىء فقبلت الشروط معتمداً على حسن تقدير القارىء لموقفي من الصديق المجهول.

لست في الواقع إنساناً مجهولاً إلى هذا الحد لأن الكثير يعرفونني.. ولي أصدقاء أعتمد على صداقتهم وإن كنت لا أثقل عليهم بذلك كثيراً لئلا أخسر شعورهم بأني صديق معقول، ولكنني أعتبر نفسي مجهولاً لأنني مغمور، وأعيش في وسط مغمور أيضاً ولو توجت مذكراتي هذه برسمي الشخصي أو لو أمسكت بهذه المذكرات ودفعت بها الى القارىء وقلت له: هذا من عملي وصنع قلمي لكان نصيبي من الضحك عليَّ أكثر من نصيب الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار لو أخذ يؤكد أن «العقاد» يعرفه ويذكر «خلقته» لأنه رآه قبل سنوات! وهذا إن لم يكن نصيبي ونصيبه من الصفع ما يدمي قفانا ومؤخرة رأسينا مصحوباً بقذائف من الشتم الساخر يدغدغ أعصابنا الموهونة فأنا لا أملك سحنة الكاتب ولا يشبه رأسي رأس المفكر والنظرة الأولى إلى وجهي تعطي عني فكرة غير نقية. كما أن ثيابي

التي ألبسها خليط لا يمكن أن يعطي مني دليلاً على أن في رأسي استعداداً فكرياً قوياً ذلك لأنني ألبس ما ألبسه وأخلع ما أخلعه من الثياب على قاعدة «المتيسر» فأبدو أحياناً في ثوب أسود يتوسطني فيه حزام مشدود، ويلف رأسي حزام آخر، أما قدماي في هذا الزي فهما حافيتان حتى ليخيل إلى من رآني إذ ذاك أنني «ابن بلد» كبير.

وأنا أحياناً أبدو في جبة حمراء تلف جسمي العاري إلا من قميص وسروال. وفوق الجبه ـ على رأسي بالطبع ـ بقية باقية من «شال» أدرج فيها رأسي باناقة لا تقدم ولا تؤخر وحذائي في هذا الزي ـ على الأغلب ـ من «الكاوتشوك» ولكنه مصقول بدهان الشحم المغلي.

وأنا في النادر ـ إذا ابتسمت لي الحياة في بعض الأيام ـ أبدو في سروال مطرز الذيل وثوب مهفهف تتماوج حركاته و«كوت» محبوك الأطراف ويحمل رأسي أو كتفي على الأصح «شال كشميري» أنيق الحواشي والأصباغ كما أن حذائي في ذلك الزي لماع «أصيل».

ولكن الزي الذي أبدو به في الأغلب هو زي «ابن البلد» الكبير ولك أن تترك لخيالك العنان بعد هذا ليعمل عمله في التقريب بين زيي هذا وبين حقيقتي كصاحب قلم تطاوعه خواطره أكثر الأحيان ولكنني واثق من أن أزياء كتلك الأزياء خليقة أن تلاشي حقيقة «برناردشو» فيعود كأنما هو جندي عادي من «مراجيع» الحرب الأخيرة لو ارتكب حماقة الظهور في هذه الأزياء أو اضطره إليها التجاء السوق الأدبية في إنجلترا إلى شراء أدبه بكلمة ثناء وتقدير أو بإعلان طيب عنه والرزق على الله من قبل ومن بعد.

أفَلستُ بعد هذا مجهولاً لا يمكن أن يُعرف إلا بعد محاولات كثيرة في طليعتها انتظام الزي لإعطاء مجموعتي الظاهرة قوة التعبير عن حقيقتي كصاحب قلم مطواع ؟

ولست آسف كثيراً لذلك فلا يزال العزاء عند البائسين من أمثالي

عن المطلب المأمول عقلياً، قوياً يكاد منطقه يفضله عندي على الحياة كلها وما فيها.

ولا يزال للمجهول بعد هذا أمله في الظهور إلى الدنيا مشغوفة به غير راضية عنه بديلاً، ولكنه المجهول الذي يحمل في طواياه سر المعرفة، أما الذي يدفن رأسه في صدره لأن الضوء يبهره ويُعميه فهو كالذي يعرف عن نفسه ما لا يكاد يعرفه الناس عنه أو يقرونه فيه مهما كانت الطبول تقرع حواليه في ضجيج مزعج كلاهما بائس مسكين !!.

**صحيفة البلاد السعودية - العدد رقم ٥٩٣ عام ١٣٦٥هـ**
**ونشرت في صفحة (البلاد من ٥٠ سنة)**
**في يوم الجمعة ٩ ذي القعدة ١٤١٣هـ.**

# مذكرات مجهول - ٢ -

لا أذكر اليوم الذي أتيح لي فيه شرف الانتساب إلى هذه الحياة الدنيا لأن أمي لم أتمتع بأمومتها أكثر من اللحظة الفاصلة التي اندفعت فيها إلى الأرض، واستسلمت هي على أثرها إلى إغفاءة أبدية.. فأنا لا أكاد أعرف عنها أكثر مما أعرف عن أي شبح لا أستطيع تفسير عواطفي التي يمكن أن استقبله بها لو تمثلته موجوداً تملأ حقيقته السافرة بصري وسائر حواسي، ولأن والدي قد استودعته التراب وأنا طفل لا يمكن أن يعرف عن الموت إلا أنه حالة غياب عادية فمن ذا الذي يحدثني بعد عن تاريخ مولدي ما دام أن واسطة وجودي قد انعدمت منذ زمن طويل ؟؟!.

على أنني أرجح أن حلقتين من عمري قد استودعتهما الله من قبل سنوات، فأنا الآن أتوسط ثالث هذه الحلقات وليس مهماً عندي تقدير عمري إلى هذا الحد غير أن الاحتفال بالزمن في حياة الإنسان لا يعدو أن يكون تعبيراً صامتاً أو ناطقاً عن مدى الاحتفال بالحياة سلباً وإيجاباً ؟.

وقد فهمت بعد أن غدوت طفلاً يفسر الأشياء، ويتعرف إليها، أن أبي نتيجة تزاوج بين حضرمي ودمشقية وأن أمي نتيجة تزاوج بين تركي ومصرية فأنا على هذا عصارة دماء مختلطة تجري من حضرموت، وتمر بدمشق، وتعرج بتركيا، وتشرب من النيل، وتتجمد

بعد هذا في هيكلي المتواضع الى جوار زمزم ومن يدريني بعد أية دماء أخرى تمت بنسب قوي إلى أصلاب جدودي وجداتي! ولكن هذا لا يعنيني بقدر ما تعنيني حقيقتي الآن كانسان لا يستطيع أن يميز الدم الذي يستطيع أن يفخر به لو انتسب الناس ! وتدافعت الوطنيات في مجرى تناحرها القديم.

ولست أدري كيف اجتزت السنوات الأولى من عمري، فيقظتي للوجود لم تبدأ إلا من حوالى السابعة أو الثامنة وماذا يمكن أن تكون السنوات الأولى من حياة طفل فقد أمّه ؟

لقد عرفت من أبي بعد، أن مرضعة اسمها (سليمة) كانت تولت شئون تربيتي مع ابن لها مات قبل أن تموت هي بعد أن استقبلت الثالثة من عمري، وهي امرأة متواضعة الحال، رضيتني ابناً مقابل أجر يسير تتقاضاه من أبي ويخيل لي الآن أن حنيني إليها أكثر من حنيني لأمي لأنني أحس أن في جسمي منها شيئاً وأن في معدتي منها بقية لا تزال باقية أبد الدهر فاذا أضيفت هي بما فيها من عناصر الى الخليط الممتزج في دمي عدت أشبه ما يكون «ببشكة».. رجال متحركة !!

وقد عشت بعد أن توفى الله مرضعتي كما يعيش كل طفل متشرد يأوي ليله إلى فراش بال يملأ ركناً من أركان بيت عتيق وينام مطمئناً إلى جوار أبيه، بينما يغط هذا في نومه العميق.

أما نهاره فيقضيه هائماً في الشوارع بين لداته من أبناء الجيران ويلكمه ذاك ويصطلحان على مهاترة طفل آخر وهكذا .. وهكذا ..

ولم يكن نصيبي من الحياة في تلك الفترة المنطوية من عمري كطفل متشرد أكثر من اللقمة الجافة التي أتناولها من يد أبي - مشفوعة أكثر الأحيان - بضربة تأديب أو بنظرة زجر.. وأكثر من الانطواء على نفسي مع هؤلاء الأطفال أحياناً والاندماج معهم أحياناً

فيما هم آخذون به من صخب وضجيج وكنت ألمح القرش في يد أحدهم فأسأله من أين لك هذا ؟ فيقول أعطانيه أبي فأركض إلى أبي وأسأله مثل ما في يد زميلي الغني فيمده الي بعد أن يضع يده الأخرى فوق أذني لتعركها عركاً مؤلماً.

ولست أدري كيف ودعت هذا العهد من عمري واستقبلت العهد الجديد منه في نهاية السابعة، ولكنني أدري على كل حال أن استقبالي إياه كان أحفل من استقبال الأستاذ العواد لعام ٦٥ من التاريخ الهجري أو من تاريخه هو !

ويخيل إليَّ أنني لو نظمت شعراً إذ ذاك لما كان نظمي في هذه المناسبة أسوأ من نظم الأستاذ في استقبال عامه هذا .. كلانا معذور وفي «الكِبر عِبر».

**نشرت في صحيفة البلاد السعودية بتاريخ ٨ ربيع الثاني١٣٦٥هـ -**
**وقد أُعيد نشرها بتاريخ الجمعة ٣٠ ذي القعدة ١٤١٣هـ**
**في (صفحة البلاد من ٥٠ سنة)**

# شيخوخة تتكلم

قال لي صاحبي وهو شاب من أولئك الذين سايروا نهضات الشباب بعزم الفتوة ومضاء الغلاب: أما رأيت بلادك الجديدة اليوم وقد تفتحت من جديد اليوم عن حياة وحركة تستهدف آمالاً ولا تسبح في أحلام، ومن وراء ذلك قوة تتدافع صوب التحقيق والادراك؟ أما رأيت أسنة هذه الأقلام، المشرعة تتلامع مخضبة وغير مخضبة بين فائز يتحمد المسرى وصائل يتخطى الرقاب في حكمة الصائل وفرحة المتفائل؟

قلت بلى سمعت ورأيت وشهدت قال لي - بين حماس وجرأة أو صراحة - كما يعبر مذهبه ولغته: أنا لا أريد أن أسمع منك هذه الألفاظ المتآكلة التي تخلعون عليها معاشر الشيوخ اسم الأناة والهدوء والرزانة، وإنما أريد أن أسمع منك رأيك الحق، ولك أن لا تسميه رأياً وتسميه شهادة (وعلى مثل الشمس فاشهد) وليس من ضير في أن تسمعنا مذهبك وطريقك، فإما أن عدنا إليك أو عدت إلينا أو شققنا طريقاً وسطاً تتقارب فيه النزعات إن لم تتحد وتتشاكل.

قلت دعني بربك من هذه المآزق فما أنا منها في شيء.

أفتريدها غارة شعواء تقيمها على (بلادي) بشبابها وكلهم متوثب يخاصم (ذباب وجهه) يتحرش لأضعف الأسباب باسم الأدب ولغة

الأدب؟

أتريد الوقيعة بي وبينهم حتى يتناوشوني كما تتناوش شلة الذئاب الفريسة، وأنا كما ترى منهوك القوى خائر العزم فبماذا ألاكم وبأي ظفر (أقرص) وبأي ناب (أعض) وأسناني تركيبة إن فتحت فمي اختلجت فأناشدك الله أن تدعني في عزلتي وتحميني مما أخشى وأخاف وإنها لمعركة أتوقعها: عناوينها (التطرف) (الرجعية) وأمثال هذه العنعنات؟.

ولكنه اعترضني في حلم، وقال ارفع على نفسك ولا تظن شراً، وقل ما تريد والزمن بيننا وبينك وعليك الأمان منا وإن كنا نخافك أكثر مما تخافنا فلا أخطر من عضة (الشيخ) ونهش درادره.

وهنا قد استطاع هذا الصاحب أن يخدر أعصابي فاندفعت كما يندفع الشاب وإذا بي أهذي أمامه وقلت فيما قلت أني فتحت عيني بعد هجعة طويلة أيام أخذت الصحافة تلك الاغفاءة، أو غضون ذلك الاحتجاب كما يقولون.

وكنت بعد الذي سمعته عن قرب عودة البواعث الحركية بعودة دواعيها وعواملها الصحفية كنت بين كل ذلك أهجرس وأتخيل وأحلم متكهناً بالكثير ومرتقباً للجليل، وكنت أقول بيني وبين نفسي، لقد استجم الفكر واختمر وفكر ودبر، وتحضر وتأهب ودرس ورأى وشاهد. وأحس، ونظمها ومشاريع فكرية رتيبة وأفكاراً ناضجة وبحوثاً شائقة، وما إن تصر الأقلام من جديد حتى تتدفق بالحبيب المساغ فتتفتح النفوس على خير ما تحب وتقبل على الذي تأمل لا سيما وقد أفاد من هجعة الزمن ويقظته ، ومن تكييف الحوادث وأسبابها وحلقاتها معرفة القابلية ومدى احساس المشاعر وبالتالي كيف تنقاد الأزمة وكيف تؤخذ النفوس وتستغل في طريق الخير والإصلاح والتثقيف، وإذا بي بين عرك هذه الأحاسيس ومدها

وجزرها، أنظر (البلاد) في حلتها القشيبة فأرى بعضاً من كل، حمدت الله عليه وتطلعت إلى تلك البقية مما كنت أحسب أن قد تهيأنا له بعد هذه الفترة الزمنية وما كان ذلك نهماً مني ولا جشعاً ولا جهلاً بسنة التدرج والنشوء ولكن خوفاً من البتر الذي منينا به في أغلب ما نريد.

وما دام أني قد تزحلقت وبحت كل هذا البوح فلا تثريب عليّ في أن أستمر في تخريفي بعد أن عدت واثقاً من عهد صاحبي وأمانته.

لقد كنت انتظر مواضيع كثيرة تطرق متغلغلة في صميم نواحينا الحياتية الظامئة وشؤوننا الاجتماعية القلقة ليسرح القارىء طرفه بين رياض نضرة يشحذ بها النظر الكليل ويستمرؤها القلب القاحل، فالعلم والتعليم والمعارف العامة والخاصة في حاجة إلى اللقاح البحثي الطريف المستمر على ضوء دراسات تمتزج بالعلم والواقع الصحيح. ولا أريد تلك الدراسات التي مازالت صوراً لغيرنا فالبحث أياً كان بقدر ما يتركز على العلم وقواعده «ويتحلحل» بمكيفات البيئة وظروفها ودافعها بقدر ذلك يكون مستساغاً ومؤثراً ومفيداً، وكذلك الشأن في بقية الشؤون اقتصادياً وأدبياً وفي كافة الفروع الحياتية النابضة.

والنقد: النقد الفني الممتاز: دعامة لا في الناحية الأدبية فحسب، ولكنه الأساس الذي تتركز عليه الثقافة العامة، والوضع العام عندئذ يتحدد معناه ويفهم عنه من يريد التصدي لمجاليه الواسعة الدقيقة، وعندي أن الأدب الفني كأدبنا الذي لم استطع الحكم حتى الآن بصلاحيته للتصدير من عدمها يمكن أن يستفيد من مقومات أخرى غير هذا النقد الذي نراه لأنا لم نتهيأ له تهيؤاً تاماً، ولأن النقد الصحيح الموزون فرع صحة الأخلاق ونضوجها وسلامة النفسيات، والنقد الناقص ضعف إذا انضاف إلى ضعف النفسية وارتباكها اليه



يبعث الى تمكين الغرور من جهة ويورث الاحن والمشاكل من ناحية أخرى فنكون في مشغلة دائمة عن الإنتاج الصحيح.

ونواحي الإصلاح وافتقادها وتتبعها الدائم انما يكون عندي بأمرين إما أن يأخذ شكلاً عاماً بحيث يحوم على مختلف النواحي على غرار واحد. لأن الدندنة و(النقّ) حول شق واحد مما لا أراه صالحاً. وارتقاب المشاريع من ناحية واحدة إما بالتطبيل والزمر لها أو بالتعب فيه اقلاق وصخب، والأعصاب في زماننا رهن التوتر بمختلف المؤثرات.

وإذا لم يكن من الميسور ذلك فثمة طريقة أخرى هي ثاني الأمرين اللذين أرمى اليهما إذا صلحت وقومت وتهيأت لها الأقلام الرفيعة: تلك هي طريقة الأمثال الحكيمة توسعها المباحث القيمة أو (الحكايات) الناطقة التي تسمونها (بالقصة) إذا صح جوها ونمت عناصرها ونضجت أساليبها. والتاريخ عبر الواقع الزمني كالحلقة المفرغة التي لا يدرى أين طرفاها. والحكمة في الحكيم و(الغزالة الجيدة تغزل بجريدة) وان بعض الناس لينفجع من ذكره سواء بالخير أو الشر. لأن ذلك يؤدي به الى استباق الحوادث على الدوام. وتسخير الأقلام في نواحي اختصاصها قدر الإمكان من خير سبل الإصلاح.

وهنا أطرق صاحبى، وقال لي إني لا أكتمك أني قد انفجعت منك وإذا بصور الفجعة تنعكس على نفسي وقال إن كانت هذه أحلام الشيوخ فنعما هي وأؤكد لك على أن قد تحالفنا وتوافقنا ولنهدم كل فارق إلا فارقاً واحداً لا حيلة لنا به هو الشيب، والهرم.. وسلم علي وانصرف وبقيت وحدي خائفاً أتوجس ففكرت في الأمر.. وأخيراً قلت في نفسي لا سبيل إلى الخلاص من شر هذا الذي دهورني إلا أن أسبقه إلى الجريدة وأبث محررها هذا الحديث لعلي أكون في أمانة على طريقة: «ضربني وبكى وسبقني واشتكى».

وإذا قبل محرر الجريدة أن يؤمنى ويأخذني في حمايته فإني سأخرج عليه يوماً ما بقصيدة واحدة من إيحاء الشيخوخة. فاما أن يقتنع الشباب بأن في الشيوخ أدباً وقوة وحياة ولكن في غير الجسم، وإما أن يجحدوا والله المستعان.

**نشرت في صحيفة البلاد السعودية**
**بتاريخ ٢٨ / ٥ / ١٣٦٥هـ ثم أُعيد النشر**
**في: الجمعة ١٩ محرم ١٤١٣هـ**

# كسـوة العـيد

كانت تؤدي عملها المحدود في المطبخ، وتنصرف في المساء..

وشكت إليه زوجته أنها بطيئة الحركة، وأنها لا تؤدي خدمات كثيرة.. وحتى القليلة التي تؤديها قد لا تتقن أو لا تحسن أداءها، وأنها عندما تكلف بعمل.. تؤديه ولكن بتثاقل ملحوظ..

قال زوجها: ولماذا استخدمتِها؟

قالت: لقد عرضت هي خدماتها، واستحيت أن أرفض لأنها كبيرة في السن..

وصعد يوماً إلى المطبخ.. كانت أسياخ اللحم على نار ولم يشتعل جمرها، وكان الهواء راكداً في المطبخ، ومع هذا لم تتناول المروحة لتشعل بها النار إلا بعد أن طلب منها ذلك.

وأخذ يتأمل الحجة خديجة بحنق وهي تَمُرُّ بالمروحة مر النسيم العليل البارد على فحم مطلوب أن يشتعل..

ولكنها كانت دائماً تبتسم في وجهه بإخلاص، ويسمع دعاءها له من قلبها.. وتنتظر بعد مدفع الإفطار في المطبخ، وكأنها ليست فيه.. حتى يفاجئها تصلي، أو ساكتة تنظر في الفضاء نظرة بلهاء.

ثم تنصرف إلى بيتها وزوجها.. وتعود بعد اشراق الشمس..

وأحياناً كانت تغيب عن العمل بدون مقدمات..

وعندما قدم نقوداً لها لتشتري كسوة العيد، أصرت على أن يشتريها هو، وعلى أن تخيطها السيدة زوجته.

وكان يخشى أن لا يعجبها عجب، ولهذا شعر بالارتياح عندما أعجبها كل ما قدمه لها بدون أي اعتراض..

ثم لم تستلم راتب شعبان إلا بعد منتصف شهر رمضان، حتى لقد نسي أنها لم تستلمه بعد..

وهكذا كانت عواطفه تحتدم، ويختلط بها شيء من الرحمة إذ يفكر في الوقت نفسه مع زوجته في الخلاص منها بعد شهر رمضان..

وانقطعت عن العمل في ٢٧ / ٩ / ١٣٧٤هـ ولم تعد، فغاظه كثيراً وغاظ زوجته أنها انقطعت عن العمل في ظرف كان ينبغي أن لا تنقطع فيه.. من باب المروءة على الأقل.

وسأل الصبي عما إذا كان يعرف بيت الحجة خديجة..؟

ثم حَمَّلَهُ إليها أجرها وكسوتها التي خاطتها السيدة.. وكلاماً معناه الاستغناء عن خدماتها بعد العيد..

ورجع الصبي، وعلى باب الغرفة قال لعمه ـ كما يروي أي خبر عادي.

ـ ماتت..

ـ من هي؟

ـ الحجة خديجة

ـ أنت متأكد ؟ ..

ـ نعم .. مرضت يوماً واحداً..

وقال لها زوجها ليلة اليوم الأخير ـ خيطي أزارير ثوب العيد ..

قالت: غداً إذا لم أمت ..!

ولكنها ماتت.. ولهذا انقطعت عن العمل.. وتسلم الزوج التركة بما فيها كسوة العيد !

**نشـــرت في مجلـــة الإذاعة السعوديـة ..**
**بتاريخ: ٣ / ٤ / ١٤٧٤هـ**

# الأرض

ذهبت لزيارة كاتب العدل الشيخ عرابي سجيني، فزادني مظهره إيماناً بأن مجلس العلماء محترم دائماً، أو هذا ما يجب أن يكون !

لقد أحسست أن احترامي للشيخ عرابي طبيعي، لا كالذي أحسه عندما أجلس أحياناً في مجلس الكبار. ؟!

وحدثني الشيخ عرابي عن قصص بعض ما يعالجه من مشاكل.. إنها غالباً الإرث، فأغلب الأحياء عندنا لا يفكرون كثيراً في الموت، ولعلهم يعتقدون أنهم أحياء باستمرار.. ثم يموت زيد بالسكتة القلبية مثلاً، ويترك وراءه ليلى وخالداً وحمدان، ويدور الثلاثة في نفس الحلقة التي دار فيها المرحوم.. ثم تموت ليلى على أثر عملية أجريت لها في مستشفى الزاهر مثلاً، ويموت كمداً وحزناً عليها خالد.. ولكليهما نسل طويل ومتداخل بالإضافة إلى حمدان الحي الموجود ومخلفاته. كل هذا الموت .. والحياة والتناسل المستمر من دون أية صكوك أو وصايا أو غير ذلك مما هو مشروع لإصلاح العلاقات بين الأحياء والأموات..

وخذ قضاياً وهات قضايا.. في المحاكم وعند كاتب العدل، وفي الشرطة وفي الداخلية إلى آخر الدوران الطويل من الأسفل إلى الأعلى.. وبالعكس..

إن لم تكن هذه هي المشاكل التي تعالجها هذه الجهات كلها، فانها مشاكل من هذا القبيل.. مشاكل مادية دائماً موضوعها الأرض، والعقار والديون وهلم جرّا..

حتى الذين يفهمون أن الحياة تافهة، وأن الصراع في سبيلها أتفه منها حتى هؤلاء - يجرفهم لسوء الحظ - تيار تلك المشاكل..

حقاً .. ما أتفه الانسان .. يظن أنه حي دائماً.. على الأرض.

**نشـرت في جـريدة البلاد السعودية ..**
**بتاريخ: ٤ / ٨ / ١٣٧٤هـ**

# حذاء!

أدى صلاة المشهد وعاد إلى بيته واستعجل الفطور لينام بعد سهر ليلة العيد - عندما جاء الصبي يدعوه لاستقبال زائر في المكتب.

قال: من هو؟

فأجاب بأنه أحد الجيران ..

وتوقع أن يكون هو ذلك الرجل الذي يمر به في طريقه الى البيت أو من البيت إلى المسجد الذي يؤم الناس فيه بالصلاة.. وصح ماتوقعه..

إنه هو بلحيته الكثيفة التي اختلط أسودها بالأبيض، وبابتسامته الرقيقة، ونظراته التي تُشعِر بالبراءة وبالثقة، ولونه الأسمر وجسمه المليء، وقامته الطويلة.

وتذكر حقوق الجار وتغاضيه عن هذه الحقوق - عندما عرف أنه جاء ليزوره زيارة العيد، وهو لم يفكر بعد في معرفة بيته أو طريق بيته..

وخطرت له المادة ليكفر بها عن قصوره، ! وأخذ يلف ويدور حول ذلك.. وكأنما لمح الرجل ما في خاطره، فصرفه بلباقة إلى التفكير في مساعدة من يستحقون الإحسان وأخذ يتكلم عن الاحسان الصحيح،

وعن ألوان كثيرة منه فاسدة ظاهرها النفع والإحسان، وباطنها الأذى والإساءة.. كالذي يحسن رياء.. أو كالذي يحسن ليأسر ضمير من يتلقى الإحسان !

تحدث عن كل ذلك بألفاظ عادية وبأسلوب طبيعي، لا تكلف ولا رياء فيه.. وأخذ يتأمل الرجل باعجاب وهو يتكلم وتذكّر الرجال الصالحين الذين يخشون الله، ثم لا يدور في ضمائرهم أو على ألسنتهم إلا ما يزيدهم خشية من الله وتقرباً إليه.

كان هذا الجار الزائر على غرارهم أو هو يمثل البقية الباقية من طرازهم، وهي في طريقها إلى الانقراض بالتدريج...

واستبقاه طويلاً في انتظار الشاي ولكنه استعجل الانصراف ليزور الجيران الآخرين بعد صلاة المشهد..

فقام يودعه الى باب الغرفة، ويكاد يقبله بنظراته التي كان يتأمله بها.. حتى انتهى إلى قدميه وهو يضعها في الحذاء، فخيل اليه أنه حذاؤه.. وساء ظنه بالرجلِ ونسي مجلسه الفاضل في حال وهو يسأل نفسه عما إذا كان محتالاً.. وإلى هذا الحد.؟؟

وكان يتخبط في ظنه عندما انصرف الرجل، وهو يدفعه بحرارة عن الخروج في أثره لتوديعه..

لقد أسف كثيراً واحتقر نفسه بعد أن تبين خطأ ظنه الآثم، وهو يلمح حذاءه الذي ساء ظنه من أجله بالرجل.. غير بعيد عن الباب !

**نشرت في جريدة البلاد السعودية ..**
**بتاريخ: ٤ / ١٠ / ١٣٧٤هـ**

# الله

خرجت مكروباً من بيتي.. كان يخيل إليَّ وأنا أجر خطاي أن الدنيا لم يعد فيها ما يشجع على الاستمرار وأن كل شيء حوالي يبدو قاتماً يشبه لون المساء الذي بدأ ينزل على الطائف كالضيف الثقيل..

وكان صوت خطواتي رهيباً كأنما هو آت من الأبدية أو هكذا خيل إليَّ حينذاك.. وبدأت أسخط وأتبرم بالحياة ككبار المتشائمين، وأنا مع هذا كله لم يطرأ على صحتي وحركتي العقلية أي طارىء ملحوظ!

وبلغت ردهة الدار التي كنت أقصدها وكان فيها شاب ينتظر الأذن له بالدخول.. وكان يبدو قلقاً إلى حد بعيد، لأنه تعرض لمشاكل كثيرة، ومشكلته الأخيرة لا تزال في طريقها الى الحل.

كنت قد لاحظت من قبل بأنه قلق ولكنه أخذ يتحدث إليَّ من جديد عن مشكلته الأخيرة التي سمعتها مراراً حتى حفظتها عن ظهر قلب..

فأكدت له نفس ملاحظتي السابقة وقلت: لا تؤاخذني إن القلق يتحكم في نفسك.. فحاول أن تحل مشكلته قبل أن تحل مشكلتك الأخيرة.. وإلا فقد تواجهك مشكلة بعدها وتعيش قلقاً باستمرار..

قال:

ـ لكن ظروفي..؟!

قلت – وأنا أتذكر ظروفي النفسية قبل لحظات –:

ـ مهما تكن ظروفك فإنها لا تزيد عن كونها مشاكل أو مشاكل المشاكل إذا بالغنا.. هل تزيد عن ذلك ؟

قال: لا

قلت: ضع أمام كل مشكلة حلاً واحداً وهو: (الله) ضعه أمامها ولكن في عقيدتك وضميرك فستجد حتماً أنها مشكلة محلولة..

ولا أدري: أيُّنا كان المخاطب ـ بفتح الطاء ـ هو أو أنا..؟

**نشرت في جريدة البلاد السعودية ..**
**بتاريخ: ١٣ / ١٠ / ١٣٧٤هـ**

# الموت

تذكّرت الموت.. وتذكّرت أنه يشغل جزءاً من يومياتي الأخيرة.. إما في شكل حادث وقع أو حادث أتخيّله، ولم يعنني تفسير ذلك ولكنني ارتحت إلى ذكرى الموت.. إنها ضرورية ليعيش الإنسان متوازناً بقدر الإمكان..

وأكاد أقترح أن يضع كلنا لوحة منقوشة عليها كلمة «الموت» بدون رتوش، ليراها دائماً حتى إذا نسي الموت ذكّرته به هذه اللوحة.

إن هذا لا يتعارض مع الدعوة إلى الحياة وإلى البناء فيها..

نعم يجب أن نبني الحياة.. ولكن يجب أن لا نبنيها على أنقاضنا.



أحس أحياناً - بأني أجرّ البقية الباقية من عمري كما يجرّ الحمار عربة محملة بالأثقال في طريق مرتفع طويل !.

**نشرت في جريدة البلاد السعودية ..**
**بتاريخ: ٢٧ / ١٠ / ١٣٧٤هـ**

# ( إيفا بيرون )

تتبعت أخبار «الأرجنتين» الأخيرة بحماس وشغف ليس من عادتي أن أتتبع بهما أخبار العالم إلا في النادر.. ليس هذا لأن «الأرجنتين» لها أية مزية عندي، بل لأنني قرأت عنها وعن زعيم «الأرجنتين» ما كتبته زوجة هذا الزعيم.

كان قلمها رقيقاً وهي تصور كفاح زوجها ونجاحه بعد الكفاح.

كانت هي الأخرى تكافح مع زوجها، ولكنها كانت دائماً تلاشي نفسها فيه.. لا تنسب لجهودها أي أثر إلا وعادت إلى ذكر زوجها «بيرون» وإلى تأكيد أنه هو كل شيء.

كانت مستغرقة في حب زوجها بل وفي تقديسه إلى حد بعيد.. حتى لقد قال لها مرة:

ـ إنك تكثرين الحديث عن بيرون بصورة أخشى معها أن أبغضه !

وقالت هي تعليقاً على ذلك:

«إنني أعترف اعترافاً بأنني قد توفيت بكياني الخاص، وأنه هو الذي يحيا بوجودى، صاحب شعوري وعواطفي وكلامي، السيد المطلق لقلبي وحياتي..»

وتصور مقدار الصدق والسذاجة في هذا الكلام.. على أنني لم



أقرأ ما كتبته إيفا بيرون إلا مترجماً إلى العربية تحت عنوان (غاية حياتي) .. ورغم أن من ترجمه الى العربية غير متحمس لقواعد اللغة العربية كما يظهر، أو لعل ما يعرفه منها غير مهم - إلا أنني بعد أن قرأت ما كتبته إيفا بيرون أحسست أنها فشلت في مهمتها بعض الفشل.. لقد حاولت في كل ما كتبته أن تضع بيرون أمامها، وأن تكون دائما هي الظل.. ولكن الذي حصل - في شعوري أنا - هو العكس.. كان بيرون هو الظل .. وكانت هي دائماً أمام بيرون..

ورسخت في نفسي صورة محببة لهذه الزوجة التي تضع يدها في يد زوجها، وتضع قلبها في قلبه.. وهي مع ذلك غنية بما قد يعينها على الكفاح.. والجمال في مقدمة ذلك.. الجمال الوديع بملامحه الهادئة التي اختلط فيها السحر .. بالنور.. بالطفولة.. بالابتسام.. بالثقة.. والحب والاخلاص إلى حد التفاني.

أية زوجة إيفا ؟ وأي زوج هذا الذي يحظى بمثلها وهو في أول السلم.

إن حقاً عليه - ما دامت في حياته - أن يبلغ نهاية السلم.. وقد بلغها في مذكراتها قبل أن يبلغها في الواقع.

ثم نسيت إيفا وما كتبته إيفا.. وإن بقيت صورتها المحببة كامنة في نفسي.

حتى سمعت خبر الانقلاب الأخير في الأرجنتين، فأخذت أتتبع أخباره، وما تكتبه الصحف من تعليقات عليه وعلى الأخبار..

لقد فهمت من ايفا ومن مذكراتها أن زوجها بطل، بل وأنه قديس في نظرها. فكيف استحال البطل القديس إلى طاغية ؟

إن هذا جائز جواز كل احتمال في الدنيا .. ولكنه لا يكون مفاجأة في الغالب.. لابد من الأسباب ومن المقدمات فما هي أسباب أو

مقدمات الطاغية بيرون.؟ إن ما عرفته عنه من زوجته وباعترافاتها لا يمهد لذلك.. فهل كانت تكذب إيفا.. الزوجة التي كنت أظنها مثالية.؟ أتراها بارعة في فن الكذب والتمثيل إلى هذا الحد .؟ أو لعلها كانت ألعوبة في يد بيرون.؟ أو هو كان ألعوبة في يدها؟ فالمرأة قد تلعب بالرجل ليلعب الرجل بالنار، لا سيما إذا كانت قديرة على الكذب والخداع..

ومع هذا كان يدهشني أن هذه المرأة ليس لها ذكر في أخبار انقلاب الأرجنتين.. فهل تراها بارعة الى حد أنها مثلت دوراً كبيراً في الطغيان الذي ترتب عليه الانقلاب.. ثم لا يذكر لها أي اسم في أخباره.؟

ثم.. ثم لا أدري كيف وجدت ذكرها في صحيفة من الصحف.. وأخذت من جديد أقرأ الخبر أو التعليق الذي وجدت فيه ذكرها.. حتى علمت أنها ماتت قبل سنوات، فهل كان موتها هو السر؟ لا أدري.. ولكنني أدري أن الزوجة الصالحة التي يتوفر فيها ما توفر في إيفا بيرون، قد يختل توازن الرجل بعدها، فيتطور إلى التعاسة..

ورثيت في نفسي لبيرون، ولذكرى إيفا بيرون.. وللأرجنتين !

**نشرت في جريدة البلاد السعودية ..**
**بتاريخ: ٢٣ / ١١ / ١٣٧٤هـ**

# الحوادث

دخل عليّ رئيس التحرير يعرج ويمسك الجدار باليسرى، ويتوكأ باليمنى على خشبة في طول سكرتير التحرير !

قلت: ما هذا ؟

وأخذ يقص الحادثة التي انتهى أمره بسببهاإلى ما انتهى إليه.. ولم يكن يعرف عن الذي أصابه بالضبط إلا أنه ابتدأ يعرج بعد الحادثة..

وأخذ يتفلسف في الحوادث، وفي تفاهة بعضها، مع ضخامة الأثر الذي يترتب على هذه التفاهة.

وكنت ـ بالمصادفة ـ قبل لحظات في زيارة عزيز كادت تلتهمه النار..

كان في البئر ليدير ماتور الماء، فاشتعل الماتور، وتسلق الرجل السلم.. ولكن اللهيب جذبه الى أعماق البئر.. واختنقت أنفاسه فناضل نضال من يقف في طريقه عزرائيل، حتى نجا من الموت بأعجوبة بعد أن حرقت النار جلده على بعض أطرافه.. ولكن الحياة تعتبر بعد مثل هذه المفاجأة عمراً خطّه القدر من جديد..

وواسيت الصديق العريف، فرويت له هذه القصة، ثم ذكرته

بحادثي الأخير، فإن كل شيء تصورته أو كان يمكن أن أتصوره قبل الحادث ـ إلا الحادث نفسه..

كان رأسى مليئاً بالأفكار والأحلام وأنا في طريقي الى عرفات.. وبنفس السرعة التي تمضى بها الفكرة أو الحلم ـ مرّ الحادث، وبين لحظة وأخرى كنت نزيل المستشفى.. إلى آخر القصة.

والحوادث سواء كلها أو كلهن فالحادث السعيد ونقيضه، ودرجات التفاوت في كليهما، وألوان السراء والضراء والشدة والرخاء ـ كلها تمضي سريعة كالأحلام، لتتطور حياة الناس بعدها ، وليس بينهم وبين ماكانوا عليها قبلها إلا مايشبه لمح البصر.

الزمن هو الفاصل دائماً.. وما أقصر الزمن عند عبور الحوادث.. وما أطوله بعدها ـ أحياناً ـ إلى أن يمرّ حادث جديد.

لم أقل كل هذا لرئيس التحرير فقد انصرف مستعجلاً إلى حفلة عشاء في «حوايا» .. وإن كان ما زال يتوكأ على نفس الخشبة.. ومعذرة لطول سكرتير التحرير !

**نشرت في جريدة البلاد السعودية ..**
**العدد: ١٨٩٦ ـ بتاريخ: ٢٣ / ١١ / ١٣٧٤هـ**

# ● النور في المقبرة

ذهبت للغداء في بيت كنت أسكنه قبل سنوات، مطل على المقبرة.. وتحركت في نفسي ذكريات كثيرة مضت في هذا البيت.. بعضها حلو وبعضها مُرّ.

إنها ذكريات جزء مضى من عمري، وأشعر الآن بأنه كان لذيذاً.

وقلت لمن كنت معهم:

- إن في أعالي مكة جواً لا يتوفر في غيرها.

وقال بعضهم:

- الهواء هنا جيد..

قلت: لا إن الجو هنا خفيف على النفس، ولقد قضيت في هذا البيت سنوات لم أشعر فيها بأن صدري ضاق مرة إلا انشرح في الحال.. كان يكفي أن أطلّ من هذه النافذة على النور الذي أحس بوجوده هنا، كما قد لا أحس بوجوده في أي مكان آخر، وأنا أتأمل هذه المقبرة، والاجيال التي طوتها، لينشرح صدري وتتبدد همومي.. وأحنّ أحياناً الى صداقة الموتى فإنها أسلم من صداقة الأحياء.. إنها لا تكلفني رياء أو أي خلق متعب.

قال أحد الحاضرين:

- إن السكنى هنا تذكر بالآخرة.

قلت: من يدري.. ربما كان بين السكان هنا من لا يذكرها.

إن ذكرى الآخرة لا تحركها المظاهر، لأنها تأتي من الباطن العميق، وإلا فإن حفاري القبور أجدر الناس بذكرى الآخرة، أفتراهم كذلك ؟

وكانت مائدة الغداء قد أُعدت في هذه الأثناء.

**نشـــرت في جـــريدة الندوة السعودية ..**
**العدد الصادر بتاريخ: ١٨ / ٣ / ١٣٧٨هـ**

# حبل الساحر

كنت أحب أن أريح هذه المرأة. وأن أوفر لها كل أسباب الهناء، فلقد كانت مريضة، وكان ابنها الوحيد يعمل في الطائرات، فهو لا يستقر إلا يوماً أو يومين، ويتركها تحت رعاية الأطباء بعد أن يوصيني بها خيراً.

وبحكم صلة القربى والمودة بيننا، وبحكم أنها جديرة بكل معونة، وهي تجتاز أدوار العلاج من مرضها، كنت أبذل ما في وسعي لتكون مسرورة دائماً.

وعندما فهمت أنها غير مرتاحة في مسكنها. أخذت أبحث لها عن مسكن صالح مريح، حتى وجدته.. واجتهدت كثيراً، ليبدو في الوضع اللائق بسكنها وراحتها من جميع الوجوه..

وانتقلت السيدة إلى مسكنها الجديد. وبدا عليها أنها تكاد تطفر من السعادة وهي تتأمله وتتأمل محتوياته، وتربت على كتف طفلتها الصغيرة التي كانت ترقص هي الأخرى، فرحاً بالمسكن الجديد..

وشكت إليَّ في اليوم الثاني وجود خلل في «دورة المياه» تتوقف بسببه حركة المياه كما يظهر، فاستحضرت لاصلاحه أحد السباكين في الحال، وضاعفت له الأجر، لينجز اصلاحه في نصف المدة المقررة.

ثم جئت أزورها بعد ذلك بيومين، وأخذت أداعب طفلتها كعادتي، وكانت تسرع الى أحضاني كلما رأتني أقبل عليها.

ولكنها توقفت في هذه المرة ولاحظت أن والدتها هي السبب، فقد زجرتها بنظرة حادة، ثم أحسست أنها تتكلف من الجهد لمقابلتي ما يبدو واضحاً على ملامحها، حتى كأنما تستثقل وجودي..

ثم اقتضبت ردها على تحيتي، وأنا أودعها، ولم تقل أنها تريد شيئاً، وبدأ سلوكها معي سلوكاً جافاً.. الأمر الذي أجهله وأجهل أسبابه كل الجهل..

وكدت أنفجر في وجهها، ولكنني ضغطت أعصابي وأخذت أناقش تصرفاتي، فلم يتبين لي شيء يبرر سلوكها الأخير..

وفضلت أن أبتعد عن طريقها، وأن أكتفي بمراقبة أحوالها وتدبير شؤونها من بعيد حتى يحضر ابنها..

وفوجئت يوماً بزيارته في بيتي، ولم يلبث أن قال وعلى وجهه ملامح كأنما اختلط فيها الضحك والغضب معاً:

ـ لقد جئت اليوم وسأسافر غداً، لأن الشركة لم تسمح لي بالبقاء لأكثر من غد..

ثم أردف وهو يشعل لفافته الثانية:

ـ أنا آسف لما دار في ذهن أمي..

قلت، وأنا أتذكر ما حدث:

ـ ولكن ما الذي دار في ذهنها ؟

فانفجر ضاحكاً، ثم بدا عليه أنه احتدم وهو يقول:

ـ تصور أنك ساحر.

قلت:

ـ أنا ..!

ـ نعم .. أنت ساحر.. هذه عقيدة أمي الآن..

وأزيدك أنني متهم عندها بالتواطؤ معك على السحر..

قلت وأنا أبلع ريقي:

ـ لم أفهم شيئاً..

قال:

إن السباك الذي استدعيته أنت لإصلاح دورة المياه، قد عثر فيها على حبل، وكان حاضر الفكاهة كما يظهر، وكانت والدتي تراقب تصرفاته.. وهو يستخرج الحبل، ثم يقلبه في يديه، ويقول:

ـ هذا سحر مخصوص كما يظهر..

ثم طرحه من النافذة بقوة.. وهو يستعيذ بالله من شرور السحر والعفاريت..

ومنذ رأت والدتي الحبل، وسمعت كلمة السباك.. لم يعد لديها أي شك في أن هذا السحر من عملك.. ليس وحدك.. بل بالاتفاق معي، لنخلص منها بعد أن طال علاجها ولم تبرأ!

قلت:

ـ من حقّ والدتك عليك أن تصبر على أي مكروه تلقاك به.. أما أنا .. فقاطعني قائلاً:

ـ من أجلي أنا سامحها..

وسافر.. وظلت علاقتي بها على البعد كلما اقتضى الأمر..

وما زلت أتذكر السباك الظريف الذي أثار هذه الزوبعة، فأضحك.. وأغتاظ معاً.. وأتذكر عقليتها، فيشتد غيظي.. ولكن الصبر على الأذى، والمكروه في دنيا العلاقات أياً كان نوعها شر لا بد منه!

**مجلة الإذاعة السعودية ..**

**بتاريخ: ٢٧ / ٦ / ١٣٧٨هـ**

# حافظة النقود

تناولت الغداء يوماً عند أحد أصدقائي، وكنت أستعد للانصراف عندما اكتشفت أن حافظة نقودي ليست معي، وقد تعودت أن أضعها في جيب الثوب، ثم قلت في نفسي، وأنا أبحث عنها سدى: ان صديقي على كل حال لم يسرق الحافظة، لا هو ولا أحد في بيته، وقد كان الضيوف غيري كثيرين.. هل يمكن أن يكون أحدهم هو الذي أخذها؟ كلا.. إن هذا فظيع، ولكن من يدري ؟ ربما ..

ولم أتردد، فسألت الصديق وبدا عليه أول الأمر أنه كمن أخفى الحافظة مزاحاً، ولما تبين اهتمامي بها اهتم هو الآخر.. وبحث معي كثيراً عنها ثم قال ـ ليست هنا.. تذكر أين كنت قبل أن أتشرف بك وبهذه المشكلة.. وأخذت أتذكر أين كنت.. ثم قلت:

ـ مررت بمدير الشرطة، والتمست الأذن بزيارة سجين تربطني به صلة، فقال لي: سنذهب معاً، لأنه كان يريد أن يتفقد أحوال السِّجْن.. وذهبنا معاً.. وكانت هذه فرصة رأيت فيها كيف يمكن أن تمضي الحياة، كعجلات القطار، على قضبان ليست من الحديد، ولكنها من أعناق آدميين يقضون أيامهم في السجن بملل قاتل ويأس مرير، ولم يسعني أن أتأمل ملامح السجناء، فقد خيل إليَّ أنها تفيض حقداً وبؤساً، وأني لو أجلت طرفي بين وجوههم لقرأت فيها مثل هذه

المشاعر الناقمة المريرة، وربما حملق بعضهم في وجهي بسخرية ملؤها التحدي، !

وخرجت آسفاً لأنني دخلت ورأيت ما رأيت، ومضيت مسرعاً إلى موعد لي في البلدية، ثم ذهبت إلى المسجد.. وأخذت طريقي اليك.. ثم اكتشفت ضياع الحافظة.. ونسيت أن أقول أن تنقلاتي في هذه الأثناء كانت بالسيارة.. وبدأنا بالسيارة فأشبعناها بحثاً عن الحافظة ثم واصلنا البحث الدقيق عنها في المسجد وفي كل مكان.. ومع الأسف لم نجدها، فخطر لي أن أنوي الصدقة بما فيها، فلعلها وقعت في يد محتاج كان يريد أن يسرق أو أن يرتكب أي محظور، ولكنني تذكرت أوراقاً تهمني فيها، وكأنما لاحظ ذلك صديقي فقال: لم يبق إلا الشرطة التي ذهبت إليها أولاً.. ثم السجن والبلدية أليس كذلك ؟

قلت: بلى ..

ولا أدري كيف ترجح عندي ونحن في طريقنا الى الشرطة أن الحافظة ربما سقطت في السجن أو أن أحد السجناء تعمد أن يخطفها من جيبي ولسان حاله يقول:

إنني سجين.. سجين.. لماذا لا أسرق هذا المغفل السعيد بحياته خارج السجن ؟

ووقفنا طويلاً على باب الشرطة حتى جاء العسكري المناوب.. وكان يبدو جائعاً، أو أي شيء آخر سوى أنه جندي، ولهذا، كما يظهر، لم يفهم قصة الحافظة منا إلا بعد جهد طويل.

وذهب الى غرفة المدير، ثم عاد مسرعاً وقال: انه لم يجدها، فرجوته بلطف رقيق - ولكنه لا يسد الحاجة إلى الطعام - أن يعيد البحث بدقة تحت مكتب المدير، أو بين أوراقه.. فربما سقطت من جيبي على الأرض، ولعله جعلها، هو أو غيره بين الأوراق.. وأن يخبر

المدير بالتلفون إن لم يجدها وأضفت:

- أنت أخبره بأنني جئت أبحث عن الحافظة التي ربما تكون قد سقطت في مكتبه.. وترددت لحظة .. ثم قلت:

- أو.. في .. السجن.

وذهبنا الى البلدية فوجدنا على بابها أكثر من واحد يتبادلون الكلام بكسل وفتور، ولم يلق أحدهم بالا إلينا ونحن نسأل عن الحافظة إلا بعد أن صرخت في وجهه بالسؤال.. ولكنه هز رأسه ببلادة، فقلت بجد كأنني أفرض عليه الطاعة والاهتمام:

- إن حافظة نقودي ربما سقطت هنا.. في البلدية.. أو في غرفة الموظف الذي كنت عنده قبل ظهر اليوم، فأرسلْ إليه من يُبلّغه ذلك..

واستأنف هو كلامه مع الآخرين، واستأنفت سيري إلى المنزل مع صديقي الذي ساهم في البحث عن الحافظة.. ورغم اطمئناني إلى أن بحثنا عنها كان دقيقاً وشاملاً، كما لو كنا من رجال البوليس تماماً فقد ظللت خاملاً أو كاليائس من الحصول على حافظة نقودي..

وأخذت أغير ثيابي، وتناولت الثوب الذي تركته معلقاً على الشماعة منذ غيرته في الصباح، وعندما هممت أن أدخل رأسي فيه وجدت حافظة النقود في جيبه بمنتهى الطمأنينة.. الأمر الذي لم يخطر ببالي قط منذ اكتشفت ضياعها..

وشعرت أول الأمر بالحرج والخجل من صديقي الذي شهد المهزلة كلها، ولكنني قفزت كالملسوع وأنا أتذكر الزوبعة التي خلفتها ورائي.. في البلدية، والشرطة، وقد تمتد الى السجن، فاستدعيت السائق ورجوته أن يطير في الحال ليبلغ الجندي، أو مدير الشرطة نفسه إذا اقتضى الأمر - أننا قد عثرنا على الحافظة، ثم يمر بالبلدية لنفس الغرض ولكن.. الشرطة أولاً..

وتصورت وجوه المساجين لو فات الأوان ، وذهب مدير الشرطة اليهم في ثلة من الجنود ليحققوا معهم وقد يفتشونهم واحداً واحداً لمعرفة سارق الحافظة.. وربما كان فيهم بريء.. ولكنه متهم فقط، ! وربما كانت التهمة باطلة، وربما كان فيهم سجين لا يعرف ذنبه، أو لعله عرفه وساوره الندم، ولكنه لا يسعه غير أن يتذكر الكثيرين ممن كان يجب أن تضمهم جدران السجن، وهم طلقاء.. ربما على مستوى عال من الحياة !

ماذا عسى أن يقول هؤلاء - حتى وإن كان بعضهم من الساقطين في عرف الأحرار الطلقاء - عندما توجه اليهم تهمة غير التي يعانونها كتهمة اختلاس الحافظة، وهم منها أبرياء؟

ستقدح نظراتهم شرراً وتفيض ملامحهم تعاسة، وهم يتصورون صاحب الحافظة الذي قدم اليهم هذه التهمة أو هذه التحية العاطرة بعد زيارة الصباح.. وإذا هان عليهم - على مر الزمن بهم.. تحت عجلات القطار - أن ينساهم الأحياء إلا مما يشبه قراءة الفاتحة على روح ميت لم ينقطع عامل الوفاء له بعد - فإن إلحاق ضُرٍّ جديد بهم كتهمة إختلاس الحافظة شيء لا يهون !

وغاظني أن يضعني النسيان في كل هذا الحرج مع ضميري ومع الآخرين.. وتنبهت على صوت السائق وقد رجع من مهمته يلهث ويقول: لقد أخبرت الجندي.. ومن كانوا عند البلدية..

ثم أضاف وهو يلتقط أنفاسه أن مدير الشرطة قد أبلغ موظفي السجن عن حادث اختلاس الحافظة، وأنهم كانوا يستعدون للتحقيق مع المساجين ولتفتيشهم عندما وصلت وأخبرت الجندي بالعثور على الحافظة..

ولم يكن دم هذا السائق خفيفاً على إحساسي من قبل .. ولكنني وددت أن أعانقه في تلك اللحظة للسرور الذي أدخله عليَّ، غير أنني

اكتفيت بالامتنان الصادق في قلبي.. وعلى لساني عندما قلت:

ـ شكراً .. شكراً لقد وصلت قبل فوات الأوان لحسن الحظ.

وفي المساء قابلت المدير، فابتسم وهو يصافحني بحرارة ويقول:

ـ الحمد لله.. لقد كنت في طريقي الى السجن للبحث عن الحافظة عندما قيل لي بالتليفون: انك وجدتها.

فتمتمت بالاعتذار..

وأخذت أتصور وجوه المساجين .. مرة أخرى

**مجلة الإذاعة السعودية .. العدد ٤٢**
**رمضان ١٣٧٨هـ - السنة الرابعة**

# الحلم.. الأول.. الكبير

شهدت ميلاد حلم كنت أحسبه بعيداً، وربما تمنيت لو أفتديه بأعز ما أملك، فقد كنت أحلم بأن يحفظ القرآن غيباً أبنائى أو بعضهم كما حفظته أنا ـ والحمد لله ـ قبل العاشرة من عمري..

لقد كان هذا حلم والدي، ولم يك شاقاً عليه أن يحقق هذا الحلم.. كما كان شاقاً عليَّ، فقد كان القرآن موضوع عمله، بل موضوع حياته، يرحمه الله ومنذ كنت شاغله الأول فقد هانت عليه المشقة ولم يبق إلا ترويض الطفل عليها.. وأذكر الآن كيف كنت أشعر بقوة قاهرة في شخص والدي.. أكتب بها اللوح، أو يكتبه هو ـ فقد نسيت الآن ـ ثم أمحوه وأغسله بماء «المَدَر» وهو شيء لا يعرفه أبناء هذا الجيل، ثم يكتب اللوح الجديد ، لأحفظه في الحال.. وقد يحبسني بعد العصر لأكرر وأحفظ.. وبعد المغرب.. وقد يوقظني في السحر إذا همَّ بصلاة الفجر في المسجد، فألطش وجهي بالماء كيفما أتفق، وأركض كما لو كنت أتدحرج خلفه.. ربما اختنقت الدموع في صدري لأنني نعسان، مكره على الحركة في مثل ذلك الوقت الجو المبكر قبيل الفجر.. غير أن هذا لم يمنع قط أن أحفظ وأن أدور في عجلة مستمرة اسمها الحفظ بتأثير تلك القوة القاهرة في شخص والدي.. ولم يسعني قط أن أقاومه ولو في نفسي، يوم كنت أحفظ القرآن الكريم..

كنت أشعر بالجهد والتعب.. والألم أحياناً.. ولكن بدون أية مقاومة

أو أي تفكير في المقاومة، ولم أكن أفهم شيئاً مما أحفظ، وإن توقفت عند بعض الآيات، متخيلاً أي معنى لها ولكن الحافز الحقيقي إنما كان هو تلك القوة الآسرة.. ثم لا أدري كيف مضت الأيام، وانتهى الأمر، وحفظت القرآن كله غيباً.. وطربت كثيراً وأنا أتناول الساعة الذهبية التي كانت هدية المدرسة بهذه المناسبة إليَّ كنظائرها لزملاء حفظوا مثلي، بل لم تسعني الدنيا من الفرح وأنا أُقلِّبها في يدي ثم أضعها في جيبي، فقد كانت للجيب لا للمعصم كمعظم الساعات في تلك الأيام.

وعدا ذلك كانت المدرسة حينذاك تقدم مكافآت شهرية للطلاب، تنمو وتزيد كلما ازداد رصيد الطالب من القرآن الكريم.. ولهذا يبدو أنه قد استقر في ذهني الصغير من يومها ـ شيء عن فكرة الإغراء وقدرته على التأثير إذا كان مادياً..

ويرحم الله السيد أحمد الفيض أبادى، الرجل الصالح العملاق، الذي أشاد تلك المدرسة وإن لم يكن يبدو عليه قط إلا مظهر أفاضل المتواضعين وخيار الناس.. وسريرته الطيبة، وكفاحه الصادق، وعمله التقي.. قوام ذلك المظهر الكريم..

ثم ظلت تلك القوة ورائي وأنا في المدرسة.. على أن قبساً من عزمها ربما قد أضاء نفسي بعد الحفظ، فأخذت جهدي أحاول أن لا أنسى، وأن أجَوِّد ما حفظته إلى حد الإتقان.. وضاعف المحاولة أنها كانت شأن زملائي الحفاظ، فكنا نتبارى ـ خاصة إذا جاء رمضان ـ في عدد ما نقرأه من الأجزاء كل يوم، ونظام المدرسة ـ بعد ذلك وقبله كان في برنامجه التكرار .. والتجويد.. والتراويح في ليالي رمضان، ولهذا لعلي كنت يوم أكملت دراستي من كبار الحفاظ.. ثم..

ثم دارت عجلة الحياة بشبابي.. وجاء يوم لم أستطع فيه أن أقرأ غيباً «يس» وهي السورة المباركة التي يحفظها الكثيرون ولو لم يحفظوا القرآن.. وربما قد تلعثمت في سور الصلاة..!

ولم يمت احساسي بالندم في هذه الأثناء.. كنت أشعر بأن الجهود الضخمة التي حرقتها في صباي تلطمني، وتلذغ ضميري، وتسألني بحرقة، كيف هان عليك أن تنسى ذلك الكفاح الطويل؟ وكيف تسمح لشبابك بأن يبدد حصيداً لم يبدده صباك؟

كنت أشعر بأنني قد أضعت ما كان ينبغي أن لا يضيع ما تحصلته بشق الأنفس، فكيف وهو القرآن.. الكلام الحق المبين..؟

ولم يطل شقائي كثيراً وفي ضميري مثل هذا التقريع الدائم وبقايا شعلة من العزم القديم.. من تلك القوة الآسرة التي علمتني القرآن..

ولقيني شيخ وقور وأنا أستعيد ماضاع.. وسألني - بدون مقدمات - عن القرآن.. ثم أضاف قبل أن أجيب.. القرآن.. القرآن.. هو رأس المال.. هو الثروة.

وظللت أذكر كلمة الشيخ دائماً ولا أنساها، فان القرآن رأس مال ضخم كبير لا يعادله رأس مال في الدنيا، وثروة ما تعادلها ثروة في دنيا البيان، والفنون، وعلوم الدنيا والآخرة كلها.. حتى استعدت الثروة بكاملها والحمد لله.

وأخذت أحلم بهذه الثروة لولدي.. وكان حلماً بعيداً عليَّ.. وعلى الشاغل الأول الذي أطل فجأة من الغيب، فان موضوع عملي وحياتي لم يكن هو القرآن.. ونظام الدراسة الحديث ربما كان ضد فكرة الحفظ الكثير..!

وأخذت أحاول بيأس وشعور ضخم بالمشقة، وأنا أتصور ثلاثين جزءاً لا يزال ولدي منها في الربع الآخر من الجزء الأخير.. أي في

سور الصلاة..

وكرهت أن يحفظ بعنف كما حفظت أنا، لتطور الدراسة وأساليبها واختلافها عما كانت عليه في عهدنا، ورجوت أن يحفظ بحافز من رغبته، فما يكرهه أو يثقل عليه..

وتذكرت الاغراء القديم في مكافأة الشهر، ومكافأة الختام يوم حفظت.. وتوسعت في هذا الإغراء حتى أخذ يرغب هو في الحفظ، ومضى فيه بأسلوب حاولت أن أهونه عليه ما استطعت.. ولم يضعف يأسي، فان المرحلة ضخمة وهو قد اندمج في المدرسة ونظامها الحديث..

وكان بعض اصدقائي إذا رأوه ورأوا اخوانه الذين أطلّوا في أثره من الغيب وقد مضيت معهم في نفس المحاولة والاحلام ـ كانوا إذا رأوهم يقرأون في البيت، يحسبون أنني أقسرهم على الحفظ قسراً، وأنني أضع حريتهم بهذا القسر في «زنزانة» ولم يكن الأمر كذلك.. إنما كان هو الإغراء بالمادة أولاً.. والإغراء ثانياً بفكرة الثروة التي يحققها القرآن.. ثم لم أُلزمهم بالحفظ قط، فإذا التزموه برغبتهم، فقد أصبح التزامه حقاً لا بد لحمايته، من التلويح بالعقاب واستعماله عند اللزوم.. ولهم بعد ذلك وقبله حق الحرية إذا رغبوا عن الحفظ..

ولكن أولهم حفظ غيباً بالفعل بعد كفاح طويل عانيت اليأس خلاله كثيراً.. وكنت أتصور المرحلة الباقية أطول من التي قبلها دائماً، حتى أغمضت وفتحت عيني، فوجدت أن الباقي يعدّ على الأصابع.. ثم.. ثم أصبح الباقي جزءين.. ثم جزءاً.. ثم سورة (الجاثية).. وكانت السورة الأخيرة بالأسلوب الذي تخيلته أنه قد يُهوِّن عليه الحفظ.. وبالفعل هان، فإذا هو قد ختم القرآن.. واستظهره غيباً كله.. ولم تسعني الدنيا من الفرح مرة أخرى بعد التي مضت يوم حفظتُ أنا.

ولم يؤثر حفظه مطلقاً ـ والحمدلله رب العالمين ـ في دراساته أو

مطالعاته أو هواياته الأخرى، بل بالعكس ـ كان أثره إيجابياً .. كريماً .. الى حد بعيد.

إنني أرفع شكري لله، وأسأله الرحمة لوالدي وللمسلمين.. وأسأله القبول، فقد تحقق حلم ضخم رائع كبير من أحلامي.

**مجلة الإذاعة السعودية .. العدد ٤٨**
**ربيع الأول ١٣٧٩هـ - السنة الرابعة**

# الميت الضائع

مات رجل في الظلام بعد أن سقط من سلم العمارة التي كان (الأسانسير) فيها معطلاً ليلة الحادث..

وأخذه أهله الى مقر الإسعاف، أقرب إلى الحياة.. منه إلى الموت..

ثم أغلق الباب الذي دخل منه في وجه أهله إلى ما بعد نصف الليل.. ولم يتصوروا إلا أن مريضهم تحت الإنقاذ في هذه الأثناء.

وطال انتظارهم فطرقوا الباب المغلق.. غير أنهم لم يجدوا مريضهم، أو من يعرف شيئاً عن مريضهم..

كان الممرضون والممرضات، على ندرة حركتهم بعد نصف الليل، خاصة في مثل مستشفى الإسعاف، كانوا يقابلون أسئلتهم عن المريض الذي أدخلوه قبل ساعتين ببرود ودهشة.. وبجفاء أيضاً.. كأنما هو سؤال غير مناسب، أو هو سؤال عن لغز مجهول، أو نحو هذا مما ضاعف مرارة انزعاجهم وحيرتهم، فكيف يعرفون الحقيقة ؟

وطار بعضهم قبيل الفجر إلى بيت رئيس الإسعاف، وطار آخرون في نفس الوقت إلى بيت مرجع أعلى بعد الإسعاف.. حتى عرفوا، في الضحى، أن المريض المجهول قد خرج من الباب الخلفي في المستشفى.. الى المشرحة..!

وطاروا الى المشرحة قبل أن يتحول مريضهم الى لحم ممزق.. وسألت المشرحة عن اسم المريض، ولكنها لم تجد عندها ميتاً بالاسم الذي قالوه، فطلبوا رؤية الموتى، لمعرفة الميت الضائع، فرفضت المشرحة إلا بإذن من الوزير المختص..

وأخذوا يبحثون عن مقر الوزير المختص.. وحينئذ جرى البحث - على مستوى عال ! - عن قصة الميت المذكور.. وتلقوا البشرى بأن قضيته لدى النيابة لأنها هي التي أمرت بتشريح الجثة، على أساس أن في الأمر جريمة..

وذهبوا وراء النيابة .. وذهبت النيابة وراء القضية.. ودار البحث، للتأكد والاستبراء ضد الجرم المحتمل.. حتى أصدرت النيابة أمرها باطلاق سراح الجثة.. وذهبوا صعوداً ونزولاً وراء الأمر.. حتى تسلموا الميت العجيب في اليوم التالي، وقد استحالت مصيبتهم الى قصة نشرتها الصحف..

ولا أدري كيف أصبح شعورهم، أو كيف يصبح شعور الإنسان، بعد أية عقدة أو مشكلة كهذه، تطرأ على مصيبة كبرى فتظل مركونة في الانتظار بوقار، إلى أن تحل مشكلة أخرى تبدو كالفكاهة التي طرأت على وقار مشكلة المصيبة، وركنتها الى أن تنجلي غمة الفكاهة !

ربما كان هذا هو المضحك المبكي.. معاً ..!

وربما كان هذا أسلوباً من أساليب ما أبرع تهوينها للحوادث في نفس الإنسان ! ...

مجلة الإذاعة السعودية ..
العدد ٥٢ - رجب ١٣٧٩هـ

# الفيل ناقص فيلة !

هذه قصة تروى عن الأيام الخالية، وهي تصور مهازل الحكم.. والخلق في عهود التدهور والانحلال..

إنها قصة شائعة يعرفها الكثيرون..

فقد زعموا أن حاكماً بأمره أباح يوماً لرجل من حاشيته أن يطلق سراح فيله بين الناس..

قالوا:

وأخذ الفيل يتمتع بكامل حريته في الشوارع.. يمد خرطومه لكل من يصادفه في الطريق.. ويقلب «دواوير» الفاكهة والخبز وبسطات الفول.. ويقتحم ما في وسعه من الدكاكين عند اللزوم.

قالوا:

واجتمع الناس.. وتداولوا الرأي في هذا البلاء الخطير.. ثم اتفقوا على أن يذهبوا الى الحاكم بأمره، ويسألوه أن يدفع عنهم هذا البلاء..

واجتمعوا عند كبير لهم .. وذهبوا..

وكانوا عدداً وافراً من الناس.. في مقدمتهم كبيرهم.

قالوا:

وأخذ الهمس يدور بينهم في الطريق.

ومضوا في شكل صفوف يتقدم بعضها ويتأخر بعضها.. كيفما اتفق..

وكان الكبير في المقدمة ورفاق له.. قد احتشموا في الثياب.. وفي خطواتهم الرزينة الى قصر الحاكم، ومعان كثيرة ترف على وجوههم.. من الخوف.. إلى الشجاعة.. إلى الوقار.. إلى مشط اللحى.. وهندمة الثياب .. إلى ضبط إيقاع الأرجل على الأرض..

قالوا:

والتفت الكبير وراءه.. فوجد أنه في قلة على باب القصر، غير أنه أحسن الظن بالكثرة، وقال: لابد أنهم في الطريق.

ثم اقتحم الباب.. ثم صعد بوقار الزعيم سلم القصر.. وبنفس الوقار لم يلتفت وراءه إلا وقد وقف بين يدي الحاكم وسلم.. وسأله الحاكم عن الخبر.. فقال:

- الفيل .. يا مولاى..

والتفت وراءه فلم يجد أحداً.

قال الحاكم: الفيل.. مالو..

فأجاب مسرعاً:

ناقص.. فيلة.!

صحيفة البلاد السعودية ..

العدد ٣٦٥ - الخميس ١٩ / ١٠ / ١٣٧٩هـ

# حـريقـة !

التمست السكن في بيت أحد الأصدقاء ريثما تنتهي العمارة الطارئة في بيتي، لم نأخذ إلا ما يلزم من الأثاث والمؤن، لمثل هذه السكنى المؤقتة في بيت الصديق..

وكان الطابق الأول مشغولاً بسكنى آخرين فاخترنا الدور الرابع لإقامتنا المؤقتة، وكانت الساعة قد تجاوزت الرابعة (عربي) ليلاً عندما صعدت كالمعتاد، وطرحت عني ثيابي وعلقتها في الصالون الكبير، وجلست ألتقط أنفاسي، وأجفف عرقي بعد أن صعدت درجاً غير قليل.

وكنت أقلب بعض الصحف، وأتأمل عناوينها بكسل من يتهيأ للنوم عندما سمعت صوت الصائح يرتفع في الشارع ويردد:

- حريقة .. حريقة.. في بيت..

وسمى صاحب البيت الذي نحن فيه بالعارية، فأحسست أن الدم بل أن الحياة كلها كما لو جمدت في عروقي وأنا أتصورها حريقة بالفعل، فيها نكبة الحريق، ومسؤولية الساكن، وعذاب الضمير لفاجعة كبرى كفاجعة الحريق في بيت كانت سكنانا فيه من باب التفضل والتودد.. فكيف أبدو أمام الصديق المتفضل إذا صدق نذير الصائح الذي استمر ينادي ثانية:

- حريقة .. حريقة .. في بيت..

وسمى البيت الذي نحن فيه مرة أخرى.. وكأنني أفقت مما يشبه الموت وأنا أسأل أهلي بصوت كأنما هو آت من شيء كالعدم في داخلي عما إذا كان في المطبخ أو غيره أي سبب من أسباب الحريق..

ثم .. ثم لم أنتظر الجواب، وقفزت إلى الدور الخامس، وكان فيه المطبخ فلم أجد فيه إلا كل شيء هادئ، وقفزت إلى الدور السادس والسابع، فلم أجد إلا نفس الهدوء.. لم تصدمني أية رائحة أو ظاهرة فيها لون الحريق، أو دخانه أو معناه.. كان كل شيء هادئاً في الأدوار العليا.. و...

وهبطت قفزاً إلى الأدوار السفلى.. حتى انتهيت الى الدور الأول، فلم أجد شيئاً يُذكر إلا أن الذين يسكنون كانوا في حالة فزع مثلي.. وكأنما قد تجمعوا عند باب البيت، للفرار إن كانت فيه حريقة حقاً.. ولم أنتظر جوابهم وأنا أسألهم عن الحقيقة، بل وثبت وثباً إلى الشارع، وقد ترجح لديّ أن البيت سليم من أي حريق، بعد أن تفقدته من الداخل بكل دقة واهتمام..

ولكن الصائح مازال يصرخ، ويردد النداء المشؤوم:

- حريقة.. حريقة..

ولم أتبين مصدر الصوت، بل تبينت صوتاً آخر بعكسه تماماً، وكان يرتفع من نوافذ إحدى الدور المواجهة لنا الى اليمين، ويؤكد الحقيقة التي ترجحت لدَيَّ وهي أن البيت لا حريق فيه.. غير أن الصوت الأول المشؤوم كان يؤكد وجود الحريق بإصرار.. الأمر الذي ارتجفت له أعصابي مرة أخرى..

وأخذت أتبين مصدر الصوت، وأتأمل جوانب البيت، حتى انتهيت

الى الناحية المقابلة التي كانت بمثابة التل أو الربوة المطلة على البيت، وهناك كان الذي يصرخ ويردد نداء الحريق المشؤوم في نافذة من نوافذ احدى الدور العليا المقابلة..

ورفعت رأسي إليه، وأنا على عتبة داره أسأله عن الحريقة .. أين هي؟

ولا حظت أن صوته كأنما يتقطع في الجواب.. فرجوته أن يفتح الباب، لأصعد إليه وأطل معه على هذا الحريق الخفي.. كالكحل.. أو السحر في البيت المشغول بسكناي.. وسواي !

وبدا عليه أنه سيحقق رجائي عندما توارى عن النافذة.. وفي انتظار ذلك صعدت الى الناحية المواجهة للبيت تماماً، ونظرت .. وكان هناك غيري ينظرون.. حتى استوعبنا البيت من عموم نواحيه، فلم نجد فيه أي أثر لأي حريق، غير أن هناك «الصالون» المضاء الذي كنت اتهيأ فيه للنوم، فقد كان النور الذي ينبعث من خلال نوافذه لونه أحمر، الى حد ما..

ورفعت رأسي الى الصائح الذي تردد كما يظهر في أن يفتح الباب، وأطل من النافذة مرة أخرى.. وقلت، وأنا أشير للضوء الأحمر:

ـ هل تعني هذا ؟

فتلعثم وقالت لعثمته كلاماً معناه: إنه لا يدري، فقد صحا من النوم ليلاً .. و.. ولم أسمع بقية اللعثمة، فقد تخيلتها وتخيلت الحماقة الكبرى في النداء بالحريق .. قبل التأكد..

ونزلت ومشيت الى البيت في موكب ضخم يشكله رجال المروءة والنجدة من أهل الحارة.. ومع بعضهم أوعية مختلفة من الماء للمساهمة في إطفاء الحريق.. وأخذت أبدي عواطف الشكر لهم، وأخذنا جميعاً نتبادل التعليقات المناسبة على الموضوع في جوف الليل.

وكنت أهم بدخول البيت واقفال الباب عندما سمعت صوت سيارة الاسعاف الأولى بصوتها المجلجل..

ووصل رجال الاسعاف بكافة وسائل الاستعدادات للإنقاذ.. وكأنما بدا عليهم شيء كعدم الاقتناع أو كخيبة الحماس بعد أن أكدت لهم سلامة البيت من أي حريق.. غير أنهم مضوا.. وما إن توارت سيارة الاسعاف حتى جلجل صوت «الوايت» بما يشبه نذير الغارات من بعيد، وأحسست أن الناس كلهم قد استيقظوا على درجات متفاوتة من الفزع والاهتمام، واطلقت اشارات سريعة بيدي وبكل حركاتي ليلحق بسيارة الإسعاف التي كان صوتها ماثلاً بعد أن توارت.. ومضى في أثرها «الوايت».

وأقفلت الباب بعد الوداع الحار العميق لأهل النجدة والمروءة.

وأخذت أواجه في البيت مهمة أخرى، هي تهدئة الخواطر التي كانت في حالة فزع غامض رغم كل النتائج التي جاءت سليمة.. والحمدلله..

ثم سلسلة تلفونات من عدة جهات تسأل عن الحقيقة.. وعن الصحة والأخبار بعد تناقل قصة «الحريقة».

ثم.. ثم لا أدري كيف نمت بين أصوات أكثر من سيارتي اسعاف.. ووايت آخر أو أكثر.. جاءت جميعاً الواحدة تلو الأخرى، لمتابعة اطفاء الحريق.. وأصوات من كانوا تحت البيت في نفس المتابعة، بالبحث والتعليق.. حتى لقد خيل إليَّ أن الشارع كله ظل سهران للفجر !

**صحيفة البلاد السعودية ..**

**العدد ٤١٥ - الجمعة ٢٥ / ١٢ / ١٣٧٩هـ**

# عدالة الحكم

جاءت امرأة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقالت:

ـ يا أمير المؤمنين إن زوجي يصوم النهار ويقوم الليل، وأنا أكره أن أشكوه وهو يعمل بطاعة الله عز وجل.

فقال لها عمر: نعم الزوج زوجك.

فجعلت تكرر عليه القول، ويكرر عليها الجواب.

فقال له كعب الأسدي:

ـ يا أمير المؤمنين.. هذه المرأة تشكو هجر زوجها..

فقال عمر:

ـ كما فهمت كلامها فاقض بينهما..

فقال كعب: علي بزوجها..

فجاءوا به، فقال له: إن امرأتك هذه تشكوك..

قال: أفي طعام أو شراب ؟..

قال: لا ..

وحينئذ قالت المرأة:

يا أيها القاضي الحكيم رشده

أَلْهَى خليلي، عن فراشي، مسجدُه

زهّده ، في مضجعي، تعبّده

فاقض القضا ـ كعب ـ ولا تردده

نهاره.. وليله ما يرقده

فلست، في أمر النساء أحمده

فقال زوجها في الحال:

زهدني في فرشها وفي الحجل *

أنني امرؤ أذهلني ما قد نزل

في سورة النحل وفي السبع الطول

وفي كتاب الله تخويف جلل

وعندها قال القاضي كعب:

إن لها عليك حقاً يا رجل

نصيبها في أربع، لمن عقل

فأعطها ذاك ودع عنك العلل

ثم قال القاضي ليفسر ما قال:

إن الله عز وجل قد أحل لك من النساء مثنى وثلاث ورباع، فلك ثلاثة أيام ولياليهن.. تعبد فيهن ربك..

فقال عمر: والله ما أدري.. من أي أمر بك أعجب.. أمن فهمك أمرهما.. أم من حكمك بينهما.. اذهب فقد وليتك قضاء البصرة..

---

(*) روى ذلك القرطبي.. والحجل ـ في شعر الزوج ـ معناه بلغة العصر غرفة النوم.

# في القرآن

القلق سم الحياة لا سيما في عصرنا.. ولهذا جرت وتجري فيه دراسات علمية كبيرة بفكرة محاربته في النفوس.. ويلوح على مثل هذه الدراسات أنها جديدة.. غير أن القرآن وضع أسسها وأوجزها في صور سريعة تكفي لمن أراد فهم القلق وعلاجه أفضل علاج..

لقد كانت، وستظل، الدراسات الجديدة لعامل القلق مبنية على استبعاد الماضي، وعدم الحماس للحاضر إلى حد الاستغراق.. وأساس هذا جاء في القرآن ، إذ يتحدث عن المصائب بألوانها.. وبمنتهى الإيجاز في سورة «الحديد» ثم يكشف السرّ، إذ يعقب على المصائب بقوله الموجز أيضاً: «لكيلا تأسوا على ما فاتكم، ولا تفرحوا بما آتاكم، والله لا يحب كل مختال فخور».

كأنما السر في المصيبة هو تربية نفوسنا ضد القلق.. الأمر الذي كانت من أجله دراسات القلق في العصر الحديث..

ثم انها ـ أي الدراسات ـ تهدف الى تحديد مظاهر القلق في صور كثيرة ما أظن إلا أن هذه الصورة الرائعة في القرآن أبرع كثيراً منها.. إنها في هذا القول الموجز العظيم:

«وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان، فكفرت بأنعم الله، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما

كانوا يصنعون..».

تصوروا لباس الجوع والخوف.. إنه منتهى القلق في كل دراسات العصر الحديث.. وهو أيضاً شعار الناس - والمترفين منهم خاصة! - في العصر الحديث .!

حقاً .. ما أبرع القرآن ..

**صحيفة البلاد السعودية**

**بتاريخ: ٩ / ١ / ١٣٨٠هـ**

# الله أكبر

كان قد تزوجها من سنين، فلم تنجب أطفالاً، وقد أنجب هو من غيرها قبل أن يتزوجها، فظنت أنه يقاوم الإنجاب بدواء أو بشيء لا تدريه، وأنه زاهد في الانجاب منها بعد ما حصل عليه قبلها من العيال..

وذهبت سدى محاولاته لاقناعها بخطأ ظنها.

كان يملؤ نفسها وعينيها شك في زوجها.. وأمل أكبر من الشك في الولد.. وأسرع الزوج للأطباء.. وفحصها الطبيب الأول.. والثاني.. ثم اشترك في فحصها مجموعة اطباء..

واتخذوا قرارهم بأنها لن تلد، لأن في الرحم مرضاً يمنع الحمل.. ليس خطراً هو، ولكنه يحتاج لعلاج طويل.. ثم لا يعيش الجنين بعده ـ غالباً ـ في الرحم.

وتحير الرجل في إبلاغ زوجته فجيعة القرار..

ربما ظنت أنها مؤامرة ضدها مع الأطباء، مجاملة لزوجها باتخاذ قرار كهذا فيه معنى اليأس وهي ما زالت في عنفوان الشباب.

وسألته في لهفة عن القرار.. فلم يتردد.. وحدثها عن قصة المرض وحاجاته إلى علاج طويل.

قالت: والحمل ؟

قال: إن القرار يمنع الحمل غالباً.. ولكن لا تيأسي..

هناك أكبر من القرار.. هل تعرفينه ؟

قالت: نعم..

واغرورقت محاجرها بالدموع.. ورفعت رأسها الى السماء.. وقالت بحرقة: يا ربّ !

وبعد شهر من القرار حملت بطفلها الأول.. ثم لم يمهلها الثاني.. والرابع.. حتى ملت الحمل وكرهت الأطفال.. ومرضها هو هو، لم تعالجه في هذه الأثناء !

إن باباً واحداً سيظل مفتوحاً لا يغلق، إذا أُغلقت كل الأبواب.

إنه باب الله..

**صحيفة البلاد السعودية - العدد ٤٤٩**
**بتاريخ الخميس : ٤ / ٢ / ١٣٨٠هـ**

# الضرّاء

كان كتلة من اللحم والدم، تشبه الدودة الضخمة، إلا أنها في شكل طفل صغير..

لونه أصفر كلون «الهُرد»..

وبطنه يلوح أكبر من جسمه، كالقربة، إذا تكور الماء فيها أو انداح.. في غير نسق ونظام..

وتبدو سيقانه هزيلة شاحبة، كأطراف جسمه العجيب، باستثناء رأسه، فقد كان أقرب إلى الضخامة..

وجلس إذ أقبلنا - باسم الصحافة ! - على سريره في المستشفى.. وجزعت وأنا أتأمله، فقد كان يبدو عليه منتهى البؤس والإعياء..

وتصورت الضنى في أهله .. ووالديه..

أما الطفل الذي يلوح أنه دون الخامسة أو حواليها، فإن معنى الضنى فيه هو نفس المعنى، كما أظن، في كتلة من اللحم والدم.. إلا أنها حيوان!

إن معنى الضنى والشقاء به لا يتجاوز حد الاستسلام !

أما الذين يكربهم الشقاء حقاً فهم من تجاوز حد الاستسلام !

وسألت عن أهله، فقيل أنهم في القرية..

ومنذ أودعوه المستشفى مضوا لشأنهم.. وإن تفقدوه بالزيارة مراراً في هذه الأثناء..

ربما كان العامل هو الثقة والطمأنينة.. وربما تحولت الكارثة إلى عادة تجرى بها حياة الإنسان في مجراها الطبيعي، بعد العجز عن مقاومة الكارثة، إلا بالصبر والانتظار !

وتكلم الطفل.. والتمس ماء.. ولم يكن يبدو عليه أي انفعال مما قد أتخيله وأتوجع له فيه..

كان هدف الحياة في نفسه أقوى من المرض ومن كل انفعال.

وتحدث الطبيب عن مأساة الطفل الذي التحق من شهور بالمستشفى.. وكان يومها أتعس حالاً مما نراه ونتوجع له الآن..

مأساة ما أكثر فصولها وقصصها في الحياة..

إننا في حاجة لأن نحياها وأن نعيش في جوها.. للتوازن، فقد ننسى كل شيء عن الضراء كلما ابتسمت لنا الحياة..

بينما هي - أي الضراء قاعدة هامة لحفظ التوازن.. في دنيا الغرور !

**صحيفة البلاد السعودية - العدد ٤٥٢**

**بتاريخ : ٨ / ٢ / ١٣٨٠هـ**

# مزايا التليفون

من الكتَّاب من تنشأ للقارئ علاقة به في جو كجو الصداقة على البعد، وبمجرد التعرف عليه، ولو في عدة سطور.. كما تنشأ العلاقة أحياناً بينك وبين إنسان آخر تجلس إليه، وتتبادلان الكلام والتفاهم لأول مرة..

من هؤلاء كاتب أمريكي في مزاجه الظرف والسخر، يدعى «هنري. ل. منكين» ويسمونه ـ لهذا المزاج ـ فولتير أمريكا..

تصوروا أنه اشترى سيارة.. ثم توقف بها يوماً حيث طاب مزاجه أن يقف وفاجأه الشرطي وهو يقول:

ـ أنت لا تستطيع الوقوف هنا.. لقد أصبح لدينا قانون خاص بمواقف السيارات. !

فتطلع إليه هنري لحظة .. ثم قال:

ـ ما أسخف هذا . !

وقاد السيارة إلى المنعطف .. ثم باعها في الحال..

غير أن له رأياً عجيباً في التلفون..

من رأي الكاتب هنري أن التليفون ـ في امريكا ! ـ وسيلة المملين من الناس على وجه الخصوص.. وأن التلفون من أسباب الملل عموماً..

ولهذا لا «يتلفن» قط..

مزاج حلو يكره الملل..

ولكن هنري لو سكن حيث تجوز له السكنى من بلادنا، لغير رأيه غالباً في التلفون..

إنه عندنا من أسباب السعادة..

إنه عندنا يسبب انشراحاً كبيراً في الصدر، وانفراجاً كبيراً في الأعصاب..

وحدث ـ ولا حرج ـ عن مزايا التلفون كلما طاب لأحدهم أو لإحداهن أن يثرثر فيه بدون حساب.

إن هنري قد يغير رأيه لو سكن عندنا وأخذ وأعطى بالتلفون..

إنه كاتب خفيف الدم على أي حال.

**صحيفة البلاد السعودية - العدد ٤٥٥**
**بتاريخ الخميس ١١ / ٢ / ١٣٨٠هـ**

# الثقـــة

قال لي: لولا الإيمان كنت سأنتحر !

قلت: وأنا أتصور الكارثة في رجل يبدو عليه الشيب والوقار: ولماذا؟

قال: لأنني وضعت ثقتي في إنسان.. ثم خانها.. وورطني في أحرج المواقف والإشكالات..

كنت أسمع عن الثقة العمياء، غير أنني عرفتها بالتجربة يوم وضعتها في ذلك الإنسان..

قلّدته زمام الأمر باختصار..

كنت لا أسمع فيه مطلقاً أي كلام يناله بالمس والتجريح، مع تساهل الناس عموماً في قبول مثل هذا الكلام.. غير أنه كان في نظري أكبر من النميمة أو الوشايات!

لم أكن أناقش تصرفاته، أو أتعقبها بالبحث.. والنقد، فهي عندي فوق الشك.. والخطأ.. ولهذا كنت أتقبلها وأنا مغمض العقل والعينين..

وهكذا مضت ثقتي بالرجل عمياء، حتى فتحت عيني فجأة.. وإذا أنا في أعماق هاوية كبيرة.

وسكت محدثي طويلاً ثم قال وكأنه يتنهد:

ـ لقد كنت مغفلاً يوم وضعت الثقة فيه، ثم لم أفتح عيني بعدها كما يصنع الأذكياء. !

قلت: حسناً.. لا تنتحر أنت..

يكفي أن تنتحر فيك أية ثقة عمياء أو غير عمياء إلا بالواحد الأحد.

**صحيفة البلاد السعودية - العدد ٥٥٩**

**بتاريخ الخميس : ١٥ / ٤ / ١٣٨٠هـ**

# ● مـامـا

كنت منها .. ومن أولادها .. في هم كبير..

وجاءت احداهن بعد فسحة العصر، واقتحمت الغرفة بلهفة، كأنها ستجد أمها فيها، إلا أن لونها فرّ وامتقع فجأة، ثم لم يسعها غير أن تلجأ لأحضاني..

وسألتني بصوت طفلة في الخامسة، إلا أنه هادئ ملؤه الحيرة:

ـ فين ماما ؟

قلت وأنا أشد قلبي من الانهيار:

ـ في المستشفى..

وجاء أصغرهم.. وكان يبدو عليه أنه خالي الذهن من كل شيء، إلا أنه ترامى إلى جوارها في الأحضان.. ثم قال وكأنما يشجع نفسه وأخته معاً:

ـ ماما .. عند الدكتور..

قالها بلسان طفل يتعلم الكلام.. في الثالثة..

ثم عادت أخته نفسها، محتدمة الوجه والأعصاب، ولم تزد ـ وأنا أضمها برفق إليَّ ـ على أن بكت .. وقالت كلمة واحدة فقط:

ـ ماما ..

وطيبت خاطرها بما حضرني من الكلام ..

ثم ناموا جميعاً في الليلة الأولى، كما كانت تنام هي في المستشفى من آثار البنج .!

وذهبوا لزيارتها.. وعادوا.. وردد الصغير اسمها أحياناً إذا استيقظ في الليل..

ثم أصبحت زيارتها موضوعاً يومياً، كأي موضوع يغري الأطفال..

وكتب الله السلامة لها في هذه الأثناء..

وتحولت الهم الى قصة .. كسائر الهموم !

**صحيفة البلاد السعودية - العدد ٥٥٥**

**بتاريخ الثلاثاء : ١٠ / ٦ / ١٣٨٠هـ**

# لون الذهب

كان يتأملها وهي تتزين في المرآة ..

كان قوامها رائعاً .. ولونها .. وشعرها .. وتوقف عند جيدها وهو يتخيل لون الذهب الصافي الرقيق.. وفي الحال أخذ يتحسس جيوبه بفزع.. ثم هم قائماً، وهو يضرب جبينه بأصابعه.. وقال:

- أُفٍ .. لقد نسيت مفاتيح الخزانة عليها في المكتب..

وأجاب على نظرة الاستغراب.. والدلال.. في عينيها بقوله:

- سأعود حالاً ..

فأتلعت جيدها.. وقالت بإغراء !

- أليس المكتب مغلقاً ؟

- بلى .. ولكن له أكثر من مفتاح..

ثم استطرد قائلاً:

- فتحت الخزانة لحاجتي إلى النقود..

وتحرك اهتمامها وهو يقول:

- ثم كنت مشغول الذهن، فتركت المفاتيح على الخزانة.. ومن حسن الحظ أنني تذكرت الآن..

وتأمل لون الذهب في جيدها مرة أخرى.. وهي تقول - حينئذ ! - بصوت حنون:

- ولكن لا تتأخر .. أرجوك.!

وطار إلى المكتب، فوجدالباب مغلقاً.. والمفاتيح - أيضاً - على الخزانة، إلا أنها كانت عامرة بالهواء.. بعد أن تبخرت أكياس الذهب.. والرزم.. والعقود .. وأمانات كانت للناس ..

وهاجت أعصابه..

وتذكر عندئذ لون الذهب في الجيد الصافي الذي كان.. في الانتظار.. و.. وامرأته التي كانت بنفس الجيد الصافي.. وفي نفس الانتظار..

وأحنى رأسه إلى الأرض.. وهو يلتمس طريقه إلى مناطق الشرطة.. بهدوء يكاد يمزقه صخب الانفعال !

ثم لم يعد إليها إلا في وقت متأخر من الليل..

قالت: أين كنت ؟

قال: لقد ذهب كل ما في الخزانة إن لم تدركني العناية.. ثم أردف وهو يحتضنها:

من حسن الحظ أنك لم تكوني في الخزانة !

**صحيفة البلاد السعودية - العدد ٥٦٦**

**بتاريخ الإثنين: ٢٣ / ٦ / ١٣٨٠هـ**

# خنّ الدجاج

رأيت عائلة بأسرها تعيش في الشارع، كما نعيش أنا وأنت في بيوتنا. !

ولم أتبين وجه الرجل الذي يلوح أنه أكبرها سناً، فقد كان ظهره اليّ.. غير أنني تبينت حيوية الشباب فيمن ظننت أنه ابن ذلك الرجل، أو لعله زوج ابنته التي كان يبدو وجهها مشرقاً بالطمأنينة.

وبينهم أطفال صغار، لعلهم عيال الزوجين، يلعبون في مرح ونشاط عجيب..

وكانوا جميعاً يلتهمون «بطيخاً» مكسراً كيفما اتفق ـ بهناء واضح في ملامحهم، لا كما قد أتناوله أنا أو أنت في أعقاب أكلة ربما أورثتنا التخمة !

كانوا يمصمصونه بلذة.. الى القشر.. وقد اقتعدوا «حصيرة» ينام أطولهم عليها، فاذا بقدميه على التراب.. إلا أن ما يبدو عليه من هناء قد لا نشعر به على الدمقس.. والحرير !

إنهم ينامون فوقها ليلاً كما تصورت، ثم يفترشونها نهاراً إذا امتد الظل في جوار بيت خشبي صغير يعيشون فيه فيما يشبه «خن الدجاج»

ولم يسعني أن أتصور حياتهم بالتفصيل .. كيف تمضي.. وكيف يعيشون.. ومطالبهم.. وحاجتهم على اختلافها.. فقد كان حسبي أن السعادة ترفرف عليهم .. كما لو كانوا في جنة !

وتأملت البيوت المجاورة التي يعيشون تحتها .. كما لو كانوا تحت السحاب.. ما قيمتها إذا خلت من السعادة..

ثم تذكرت أنني كنت قبل أن أرى هؤلاء غضبان.. ناقماً على الحياة!

**صحيفة البلاد السعودية**

**بتاريخ : ٢١ / ٧ / ١٣٨٠هـ**

# الاعتراف بالمعايب

من الأسئلة التي قد يسألها أهل الصحافة أو الإذاعة أو أي سائل: أسئلة عن أغرب حادثة مرت بك أو بالمسئول؟ أو أكبر «مقلب» شربه المسئول؟ أو هل يعتبر نفسه ناجحاً ؟ ومن هو كاتبك المفضل؟ ومن هو الشاعر الذي تحب أن تقرأ له ؟ وما هي هوايتك التي تحبها؟ وهل تحبّ عملك؟ وهل تحسّ أنك مرتاح الضمير؟ .. إلى غير ذلك من اسئلة تدور حول المسئول في انتظار إجابته الصحيحة على أسئلة كهذه كما يجب أن تكون ، وبصدق، لا يغالط الانسان نفسه فيه.

ولكي يتجنب الانسان الغلط والمغالطة يبدو ضرورياً له أن يناقش أسئلة كهذه مع نفسه مقدماً وقبل أن يسأله الصحفيون أو غيرهم حيث سيجد أن لديه مادة ضخمة للاشتغال بها عن الآخرين ومعايبهم.

إنه إذا صدقت مناقشته لنفسه ـ سيلمس معايبه أيضاً..

ربما اختلفت مستويات المعايب في الناس.. وهذا طبيعي كاختلاف مستويات الناس أيضاً.

غير أنها ـ على أي حال ـ شيء من كيان كل منا.. إلا من عصمهم الله.

إن الاعتراف بالمعايب هام لتصحيحها .. والاعتراف المقصود هو اعترافك لنفسك أو اعترافها لك بحقيقة تصرفك أو تصرفي إن كان خطأ أو صواباً أو معيباً أو محموداً ..

وحينئذ يسعك أن تهضم معايب الآخرين كما يهضمون هم معايبك في نفس الوقت.

ومن هنا طريق تقويم السلوك ما أمكن.

**بتاريخ : ١٤ / ١٠ / ١٣٨٧هـ**

# علم الحب

كانت ترسم خطوطاً على الورق عفواً، وهي تتحدث إليه..

وبدأ الرسم غريباً في شكله ونقاشاته وامتداده وإن كان في ظاهره عديم الدلالة.. على أي معنى مفهوم.

وأمسك الرسم وأخذ يتأمله طويلاً، ثم قال:

ـ لو كنت عالماً نفسياً لربما كان في وسعي ترجمة هذا الرسم أو ترجمة انطباعاتك النفسية الصامتة في هذا الرسم، منذ كان علماء النفس يؤكدون أن الخطوط العفوية التي يرسمها قلم الإنسان عفواً وقد استغرقت ذهنه أفكار أخرى ـ تدل على ما يدور في نفسه أو على ما يشغل ذهنه حينذاك.

قالت:

ـ إنني أحسن ترجمة هذا الرسم ودونما حاجة إلى أي عالم من علماء النفس.

وأخذت الورقة التي عليها الرسم وقالت:

تأمل .. إن أفكاري كانت تدور حول البعد، فهذا الخط الطويل الذي تراه في الرسم ترجمة عن شعوري إزاء هذا البُعد بأنه طويل ولو كان قصيراً في واقع الأمر.. وترى في الرسم أيضاً مقاطع بأحجام



أقرب إلى الضخامة في الخط الطويل.. إنها تمثل أيام البعد عدداً ليس بالكثير، غير أن حجم اليوم يبدو ضخماً كأي وقت ثقيل يجتازه أهل الحب.

قال: إنك بهذا تلوحين من علماء النفس إذا كان مثل هذا البيان والترجمة عن الخطوط العفوية من علم النفس حقاً !

لا تنس أيضاً علم الحب فانه مفتاح علم النفس.. والحقيقة - إذا صدق الحب !!

**صحيفة البلاد السعودية - العدد ٣٢٩٧**

**بتاريخ : ١٢ / ١٠ / ١٣٨٩هـ**

# ضوء الحب

عرفته من قبل باحثاً مخلصاً عن الحياة والحب.. والفشل يركبه من جميع الوجوه، حتى طفا على وجهه شيء من اليأس والظلام.. ثم رأيته اليوم مشرقاً يكاد يطفر من الحياة.

وأخذت اتأمله فعاجل فضولي بقوله:

هل دهشت لتطوري؟

قلت: إنني لا أدهش لأي تطور، ولكنني لا أكره أن أعرف ماذا هناك؟

قال: ما أحلى أن يتحقق الأمل بعد اليأس الذي كنت قد وطنت نفسي عليه، منذ أخذت أكره حياتي خاصة كلما تطلعت الى الطبيعة التي كنت أعيش فيها، وعلى أنها كانت كأحلام الشعراء إلا أنني كنت أشعر بأنها شيء كالعدم، وبأنني جزء من ذلك العدم المخيف.

كانت حياتي فارغة كالظلام أدور فيه حول نفسي.

كنت أبحث عن الضوء وكل ما حوالي مشرق كالضوء..

الوادي والجبل ما بين أخضر وأحمر وأصفر، والبحر كالسماء.. لون كالأزرق ولكنه مجهول كالأعماق. !

وفي الأفق البعيد شيء يلمع كالبصيص في الليل الحالك.. وكلما



كنت أشد خطواتي الى ما هناك أبحث عن الضوء ، كنت أعرف أنني أبحث بدون جدوى.

ودفنت رأسي في أحضان الظلام.. ونسيت كل شيء..

كان النسيان ـ إلى حد الذهول ـ أقرب السبل لعلاج مشاكلي.

وكدت أنسى آخر الأمر أنني انسان.

لقد ظننت أنني شيء ما.. يعيش كيفما أتفق.

ومضت حياة هذا الشيء فارغة إلا من وجود بنسبة العدم..

وفجأة لمع البصيص الخافت .. وأشرق الضوء.. وانطوى اليأس..

ووجدت ضوء الحب..

وقاطعته قائلاً:

حسبك فان فيما يطفو على ملامحك آخر القصة!

**صحيفة البلاد السعودية - العدد ٣٣١٠**

**بتاريخ الإثنين : ٢٧ / ١٠ / ١٣٨٩هـ**

# رجـل.. وامـرأة

هذه المرأة .. ما أجملها..

كـان هذا الخـاطر يدور في رأس حـمـدان، بل وفـوق شـفـتـيه كلمـا اختلس نظرات إلى ردهة الدار المقابلة، فلقد كانت هناك أنثى تتردّد لتطوي ثياباً منشورة على الحبال.. أمـا هي فإنها لم تفكر قط في غير زوجها وأطفالها الذين أخذ أكبرهم يلعب ويتدحرج ويتعلّم الكلام.. وكأنما استغرقها في أحد أيامها عمل تنظيف «الخضرة» واعدادها للطبخ في صحن الدار، وكانت نظرات حمدان تترصدها خلسة، فأدارت رأسها الى النافذة، فلما وجدتها مغلقة، أكبّت على عملها مرة أخرى.. وقال هو في نفسه: لماذا لا أفتح النافذة للتجربة على الأقل؟

وأحست هي بما فعل، فانسحبت من مكانها.. لقد عرفت من قبل أن في الدنيا شيئاً مقدساً اسمه «الجوار» ولذلك فما سمحت لنفسها بأن تسيء ظنها بفتح النافذة من سكان الدار المقابلة.. إن فيها ـ ولا شك ـ رجلاً.. أو رجالاً لفكرة الجوار عندهم كل حرمة وكل اعتبار.. ثم من أدراها أن تكون أنثى هي التي فعلت ذلك؟

وكأنما غاظ حمدان أنها لم تستجب إليه، فأخذ يترك النافذة مفتوحة باستمرار، وأخذ يجلس فيها كمن لا يعنيه أي شيء آخر سوى أن يجلس.. وأحسّت هي، فلم تعد تزاول أعمالها في صحن الدار..

وكأنما اضطرها سلوك حمدان إلى أن تفكر فيه.. أهو جار صالح كما كانت تعتقد؟ أو غير صالح.. وهذا ما ينزل من نفسها منزلة الفجيعة لأول مرة؟ وأخذت بالتدريج تعلم القليل بعد القليل عن سلوك حمدان من جاراتها ، فجزعت، ولكنها طوت جزعها منذ كانت تعلم المشقة التي تحصل بها زوجها على هذه الدار؟ ولم تعد تفكر في هذا الجوار السيئ، وصرفت نفسها وحوائجها وأعمالها من المكان الذي تطل عليه نافذة دار حمدان.

ومضى نصف عام .. ومرض زوجها وعاده الأطباء، وتردد عليه أصدقاؤه وجيرانه ومن بينهم حمدان.. ولاحظت أن حمدان يرسل وراء عينيه كلما يستطيع من فضول وبحث في كل نواحي الدار.. فلم يسعها غير أن تزدري هذا الرجل.

وقضى زوجها نحبه بعد يومين.. وهكذا أصبحت أرملة بائسة.. لقد كانت لها والدة ولكنها متزوجة برجل فقير، وكان لها أخ مسافر يجاهد أَمرّ الجهاد في سبيل العيش.. فماذا تصنع؟ وقد خلف لها زوجها ثلاثة أطفال صغار لا يتجاوز أكبرهم الخامسة، ولم يترك لهم شيئاً من المال سوى رقم بسيط انتهت اليه بعد تصفية حساب دكانه المتواضع..؟

لقد كانت جميلة، كانت في باكورة العمر، فهل تتزوج؟ كلاّ.. إن قلبها سيعيش على ذكرى رجلها الأول.. وستعمل إلى جانب ذلك، لسدّ حاجات أطفالها، فقد كانت تجيد التطريز والخياطة.. وهكذا بدأت تناضل أشدّ النضال، فلقد حرصت على أن لا يحسّ أطفالها أي نقص فيما يلبسون أو يأكلون أو يشربون.. وعند ما كانوا يسألونها عن أبيهم كانت تجيبهم باقتضاب، إنه مسافر.

وراعها بعد أن مضت أيام على وفاة زوجها: أن حمدان أرسل إليها أنثى تبلغها سلامه.. وكلاما معناه: أن لا تفكر في أطفالها وفي أي



شأن آخر، فانه لن يتأخر عنها إذا شاءت.! فطردت الزائرة.

ومضت فترة وتلاشت خلالها بقية الرقم البسيط من تركة زوجها، وما عادت جهودها تسدُّ حاجات بيتها وأطفالها، فقد كبروا، وأدخلت منهم اثنين إلى المدرسة.. وآلمها أن أطفالها بدأوا يفتقدون لعبهم.. ثم بدأوا يشعرون بالمفارقة بينهم وبين الأطفال الآخرين عندما أخذت أمهم ترقع ثيابهم، وتصرف اللُّقمة عن نفسها أحياناً لتدفعها إليهم بحنان.. وآلمها أن أكبرهم قال لها ـ وقد رجع للغداء من المدرسة، فلم يجد إلا كسرة خبز وطعاماً أكلوا منه يومين متتاليين ـ سأكبر يا أماه.. وأخدمك، فلا تحزني يا أماه.

وجاء أوّل عام جديد.. وأخذت تفكر في أُجرة البيت.. إنها سبعمائة ريال، فكيف تؤمنها؟ إن في بيتها حوائج لو باعتها وأبقت الضروري منها لحاجة الأطفال لما استطاعت أن تؤمن من الأجرة إلا نصفها، فكيف تؤمن النصف الآخر ! ثم ماذا يقول أطفالها إذا رأوا أن أثاث بيتهم قد باعته والدتهم الحنون؟

وأخذت تفكّر، ولا تكاد تنتهي من تفكيرها إلى حلّ أو بعض حل.. على أن صاحب البيت لم يتركها، فقد أرسل إليها من يطلب الأجرة التي كان سيضاعفها لولا أنها أرملة، فاستمهلته أسبوعاً آخر.. وجاء بعده الإنذار من صاحب البيت، فإما أن تدفع، وإما أن تخلي الدّار.. فتوسلت إليه بدموعها أن يوافيها بعد يومين، فإما أن يجد الأجرة، وإما أن يجد البيت خالياً.. وأخذت تفكر من جديد، فهل تترك البيت.. ولكن إلى أين؟ التمعت في رأسها فكرة ولكنها تلاشت بأسرع مما التمعت.. لقد تذكّرت جارها، فأشاحت بوجهها، عاودتها الفكرة فمن يدري أن يكون قد أصبح إنساناً آخر؟ .. وزمّت شفتيها، ووقفت بها خواطرها عند هذا الحد.

وقبل أن يذهب ابنها الأكبر إلى المدرسة من يوم غد ـ وكان في سن

التاسعة ـ أسرّت في أُذنه كلاماً ، فذهب يعدو إلى الدار المقابلة.. ودق الباب، ففتحه الخادم، فبادره:

ـ سلِّم على عمك.. وقل له إن أُمّي أرسلتني !

فغاب الخادم قليلاً، ثم أفسح له الطريق إلى حيث كان عمه يتناول طعام الفطور.. وقال الغلام وهو يلهث:

ـ تسلم عليك أمي، وتقول لك، إنها تريد قرضاً حسناً تسدده لك أقساطاً شهرية.. وقدره.. ، فلم يدعه يكمل، وقاطعه قائلاً:

ـ سلِّم عليها.. وقل لها: سيؤدى لك القرض الذي تريدين.. على أن تتفضلي بأخذه مناولة مساء هذا اليوم.. أفهمت؟

ولم يدر في رأس الطفل أي معنى آخر لهذا الكلام الذي بدا في نظره كلاماً طبيعياً لا غبار عليه.. وأسرع إلى أُمّه وأخبرها بما قال.. وانصرف مع أخيه إلى المدرسة.. أما هي فقد بدأت الأفكار تغزو رأسها بشدّة .. إنه سيعطيني كل قرض أريده.. ولكن على أن أذهب إليه .. فما معنى هذا؟ أترى الرجال كلهم سافلين إلى هذا الحد؟ وأخذت تبكي.. ثم شعرت بأنّ قلبها قد استحال الى رماد في صدرها، وأن الحياة لم تعد تساوي شيئاً.. واسترعى نظرها عصفور يزقزق على شجرة ريحان قصيرة كانت قد غرستها في إناء من الطين، فتحولت خواطرها إلى اتجاه آخر.. وطافت برأسها فكرة خاطفة، فمن يدري: أنّ جارها يريد أن يستغفرها ويدفع إليها بما تريد؟ أو لعلّه يريد أن يدفع إليها القرض في يدها منذ كان واسطتها إليه طفل صغير.. ولكنها تذكرت خادمه، فهلاّ أرسل القرض في يده؟

ثم طرحت أمام أفكارها أسوأ الفروض.. وتصورت نفسها وأطفالها في العراء من غير مأوى، ولم تستمر أكثر من ذلك، فقد ضربت رأسها بالجدار عند هذا الحد.. وأغمضت عينيها.. وقرّرت أن

تذهب .. وأسدلت على خواطرها الستار.

وبعد أن أدّت صلاة المغرب، ورفعت يديها إلى السماء.. لبست عباءتها، وقالت لابنها الأكبر:

- سأذهب لأتسلّم القرض.. فلاحظ إخوانك إلى أن أعود.

ونظر حمدان، فرأى شبحاً أسود يتقدم الى الدار.. أتراها هي؟

وفتح الباب خادمه.. وسار.. وسارت خلفه.. وجاء حمدان يستقبلها وقد علت شفتيه بسمة انتصار.. وأخذ يردّد لفظاً معيناً، فلم تجب بكلمة، وظلت واقفة في المجلس كما كانت على الباب شبحاً أسود.. فأشار إليها أن تتفضل وتستريح، فأخذت مجلسها على كرسي بجانب الباب.. ولم تفتح فمها بشيء.. فقال حمدان:

- والآن يا نور العين.. تكلمي أسمعيني صوتك الجميل.

- صمت مطبق.

- حسناً.. ستتكلّمين بعد دقائق.. أليس كذلك؟ ولكن اكشفي عن وجهك على الأقل.

- (صمت مطبق و.. وظلّت شبحاً أسود كما كانت).

- كيف سنتفاهم إذاً ؟

- (صمت مطبق).

- فنادى الخادم، وأمره باحضار كوبين من عصير البرتقال، فوضع احداهما أمامها.

- هيا فلنشرب نخبك.

- (صمت مطبق).

- حسناً ألا تريدين أن تتكلمي.. و...

فقاطعته بعنف:

- وجهي.. مالك ووجهي.. إنك تريد جسدي أما وجهي فلن تراه.. (وأخذت أنفاسها تتلاحق بصوت مسموع).

- حسناً .. إذا امتلكت جسدك فسأعرف كيف أرى وجهك الجميل.

وأخذت تنتفض في يديه، وكان النقاب مشدوداً إلى رأسها باتقان، فوضع يده على صدرها.. وما كادت تستقر حتى تساقطت عليها دمعة أحس منها لذع النار على ظهر يده المكتنزة.. فتخلى عنها عند ذلك.. وأردف:

- هيا .. قومي لشأنك.. لقد أخطأت.. سامحيني.

ونادى الخادم، وحمّله صرة، وأمره أن يذهب بها مع السيدة إلى بيتها.. ثم قال - وهي مسرعة في طريقها إلى أسفل البيت :

- حاولي أن تذكريني كلما كربتك ضائقة.. سأكون لك عوناً بعد الآن.. ولكن لا تنسي أن تصفحي عني.. لقد أخطأت.. سامحيني.. ويرحمنا الله.

فلم تجبه بكلمة.. وخرجت من الباب شبحاً أسود كما جاءت.

# رجل.. أذكره

ما أزال أذكر هذا الرجل، وكأنني لقيته بالأمس لا قبل عشر سنوات، ذلك لأنني قبل أن أراه كنت قد رسمت له صورة غير التي رأيته بها، فقد سمعت أن له ماضياً رائعاً حافلاً بالمجد والترف.. وبما أشار الناس إليه وقالوا: انظروا.. هذا فلان.. إذا مشى أو ركب وهزّ ساقيه وتَثَنَّى على ظهر الجواد في تلك الأيام..

كان بالاختصار نجماً لامعاً، ثم هوى النجم.. ومشى مع الناس على الأرض..

ثم انحطت به الدنيا كعادتها أحياناً، وأصبح وأمسى كثير الأهل والعيال، ولا مورد له إلا دخله من وظيفة أين هي من مستواه الذي كان فيه؟

وتوقعت أن أراه حزيناً في أغوار نظراته على الأقل، وتوقعت أن يبدو عليه ما يحرك في النفس معنى كالأسى والشفقة أو المواساة والأسف العميق لأن هذا حال الدنيا..

صورة مهزوزة رسمتها لرجل قبل أن أراه..

ثم تفضل.. وجاءني زائراً، وربما كانت الزيارة عفواً، غير أن المهم هو أن الرجل لم يكن ضاحك الوجه فقط، بل كان ضاحك النفس إلى حد بعيد..

لقد أحسست بأن الابتسامة التي تكاد تصل إلى أُذنيه ليست على

فمه وحده، بل إنها في قلبه بنفس المعنى المشرق..

وكفاني هو مؤنة الحيرة إذ تناول الموضوع مباشرة وأراحني من كل عناء.. وأصغيت إليه طويلاً.. تأملت أساريره الواضحة ونظراته التي كانت تشع من وراء نظارته السميكة فلم يكن يبدو عليه أي أسى أو أسف وهو يحدثني عن مجده وعن ماضيه وأيام عزّه التي ذهبت، بل كأنما كان يحدثني عن إنسان آخر لا تربطه به أية علاقة.. ثم حدثني عن حاضره حديث من يعيشه قرير العين، قانعاً سعيداً بما هو فيه، لا يفكر قط فيما مضى.. أما المستقبل فليكن ما يكون حتى الموت مرحباً به إذا انتهى الأجل..

وكان في هذه الأثناء قد وضع يده في جيوبه مراراً، وأخرج منها ـ زجاجة عطر.. وقرنفلا.. وكحلا.. وربما ملحا.. وشطة.. كل هذا وما لا أذكره الآن ـ كان في جيوبه احتياطاً واستعداداً لبعض الظروف والمناسبات..

وأخذ يشرح لي ذلك كلما أخرج شيئاً منها، ويذكر ما هو؟ ولماذا؟ ومتى وكيف يستعمل؟

كان حياً في واقعه.. لا يعيش، بل ولا يتخيل، سواه.

وما كاد ينصرف حتى ذهبت الصورة المهزوزة التي كنت قد رسمتها له قبل أن ألقاه.

ذهبتْ إلى غير رجعة.

وأشرقت له في نفسي صورة رجل حيّ لا تزعجه أحوال الدنيا..

ثم.. ثم لم أصادف هذا الرجل إلا قليلاً.. حتى لم أعد أراه، ولا أدري إن كان هو الآن حياً أو ميتاً.. ولكنني أذكره دائماً..

كأننا اجتمعنا بالأمس..



# صوت الجميلة

كانت رائعة كالمثال في دنيا السحر والجمال.. ملامحها تكاد تنطق بالفتنة ووجهها صورة مشرقة، فيها شيء كالفجر، والشفق، والزهر والورود..

وأخذ يختلس النظر إليها.. لا يكاد يمنعه، ولا يكاد يكبحه.. وكانت صامتة لا تكاد تنطق بشيء إلا أن في لفتاتها وحركاتها ما شدّ قلبه إليها كمن يحلم بالعشق..

قال: وظللت أحلم أو أهجس ليالي طويلة بعد ذلك اللقاء.

وكان شاعراً فأخذ ينظم الشعر غزلاً فيها وهياماً بها.. وكنت أنا من المحظوظين الذين اختصهم بقراءة شعر له كلما نظم، وتبينت أنه في طريقه إلى الحب فعلاً ان لم تدركه العناية.!

وكانت من بلد بعيد عن بلده وعن تقاليده ولغته ودينه أيضاً، فخشيت أن يضيع أو أن يضيعه هذا الحب.

وانقطعت أخباره عني فترة طويلة حتى ظننت أنه ضاع وانتهى الأمر..

ثم لقيني أو لقيته فجأة، فلم يتحدث عنها بشيء من النثر أو من الشعر، ولكنني لمحت في عينيه معنى الرماد.. أو كأن حباً أشرق في

نفسه ثم غاب فيما يشبه الانكسار.

وتعمدت أن أسأل عنها بدون مقدمات..

قلت: كيف حال العاشقين؟

وزاغت نظراته كثيراً وهو يتأملني.. كأنما يلتمس أن لا أسخر به في النتيجة.. ثم قال: ليتك سمعت مثل صوتها، فقد ظللت أكثر من مشتاق إلى أن أسمع لها صوتاً وهي لا تتحدث إلا نادراً، وإلى من تجاوره همساً أو مخافتة لا أكاد أتبينها، حتى تكلمت قبل ليال.. ولم أدر كيف ولماذا وبأية قدرة تكلمت.. ولم أهتم أيضاً بموضوع الكلام، فقد كان صوتها أجش يشبه إلى حد بعيد صوت أخشن الرجال..

وفزعت وطاشت أحلامي لهذا التناقض الذي يجتمع به وفيه ذلك الجمال الطاغي على هذا القبح المخيف، وتمنيت بعدها.. لو ظلت صامتة إلى الأبد.

**صحيفة البلاد السعودية - العدد ٣٣١٤**
**بتاريخ : ٢ /١١/ ١٣٨٩هـ**

# في انتظار الغداء

كنت مدعواً إلى الغداء في بيت أحد الأصدقاء.. ووجدت أن هناك مدعوين آخرين قد اكتظت بهم الغرفة الصغيرة التي كانت مقاعد الجلوس متلاصقة فيها.. أما الغرفة الخارجية التي تناثر فيها بعض المدعوين، فانني لم أُعرِها نظراً دقيقاً وإن كنت أرجح أنهم قد استلقوا فيها على الأرض كيفما أتفق..

وكنا خليطاً من الناس يغلب عليهم الطابع البلدي الذي يلوح أنه في سبيله إلى الانزواء بعد أن شاع الطابع العصري بزيه وثيابه بل وبملامحه أيضاً، فان من المرجح أن الوجوه في هذا العصر ربما كانت غير الوجوه التي مضت.. ليس من حيث الخلقة وقانونها العام بل من حيث الانفعالات التي تتشكل بها ملامح الوجه رغم كل احتياط.

ولا شك في أن الانفعالات في هذا العصر هي غيرها فى أي عصر مضى وكذلك الحال بين كل عصر وآخر على مر الزمن..

وقد ينعقد الصمت أحياناً في أي مجلس إذا كان كمجلسنا في حالة انتظار للغداء وهو موضوع العلاقة بيننا فيه، بالاضافة الى روابط الدين.. والوطن.. والانسانية، فكان بعضنا يتأمل بعضنا بما يشبه اختلاس النظر.. أو يستغرقهم التأمل في داخلهم.. أو استطلاع ما في رؤوس الأخرين!. أو كلام في السياسة.. أو الجو! ثم قد يتثاءب

أحدهم ويتمطى الآخر، أو يذكر الله.. أو يسأل عن الطعام بصوت مسموع..

ثم قد يشتركون جميعاً ومعاً في الكلام عن موضوع أو أكثر، بحيث يتعذر الربط بين الموضوعات ودواعي الكلام.

ولقد تحرك ـ ونحن في انتظار الغداء ـ موضوع كبير حقاً في شخص رجل يبدو عليه الهرم..؟

وعندما تحرك من المجلس الذي نحن فيه إلى الغرفة الأخرى المجاورة ظهر أنه يتحرك بخوف وحذر.. وبصعوبة أيضاً، كأنما ينتفض إذ ينقل خطواته الهادئة، أو كأنما هو في انتظار ما بعد الحياة يكافح ليثبت أو ينفي هذا الانتظار!

وأخذت أتأمل الرجل.. وأتصور شبابه.. كيف كان فيه؟ لا بد أنه كان عملاقاً.. لابد أن في ماضيه قصصاً رائعة وألواناً من الذكريات.. كيف هو الآن ؟

وقرأت بين السر والجهر: (هو الذي خلقكم من ضعف.. ثم جعل من بعد ضعف قوة.. ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة).

وبدا على الآخرين ما يشبه السكينة وهم يتأملون الشيبة.. وقال أحدهم: سبحانه..

وكان مائدة الغداء قد مُدَّت لحسن الحظ في هذه الأثناء.!

# الوقت الضائع

إن زيارة الناس لبعضهم مسألة يحسن مناقشتها بروح رياضية وبمنطق لا خداع أو مجاملة فيه، حيث يبدو حينئذ أن بعض وقت الإنسان ليس ملكاً له بل لعمله.. موظفاً كان أو تاجراً أو عاملاً.. وعلى مختلف المقامات، فما يحسن أن يبدد بعض الناس شيئاً من هذا الوقت المحدود إلا لغرض تتحقق به مصلحة ما.

ثم ما يتبقى من الوقت إنما هو ملك الإنسان نفسه، فما ينبغي أن يصادر الناس حرية بعضهم فيما يملكونه إلا لغرض أهم وتتحقق به مصلحة أيضاً.

إن شيئاً كهذا الوعي لأهمية أوقاتنا يدفعنا حتماً إلى أن يحترم بعضنا أوقات بعضنا مع الحب والود، وليس من الضجر أو السخط إذا تصرف أحدنا التصرف المناسب لحماية وقته من الضياع.

وهناك مناسبات عامة تتحلل فيها زيارة الناس لبعضهم من القيود التي لا ينبغي التحلل منها في غير هذه المناسبات كالأعياد والفرح والتهاني أو التعازي وما إلى ذلك من مناسبات عامة تستحب الزيارة فيها.. ربما بدون أية مقدمات، أما فيما عداها فما أظن أن منطق الوعي بالروح الرياضية السليمة يبرر زيارة الناس لبعضهم إلا بوعد أو تفاهم مسبق، وبذلك تتلاشى احتدامات كثيرة أو قليلة صامتة وراء التهلل الذي يغلب عليه الاصطناع في مواجهة أية زيارة تخرج من باب الوعي إلى باب الإضاعة أو الضياع!

# هذه السحنة.. أو الملايين!

لا أذكر الآن كيف أُتيح لي أن أذهب إلى زيارة (فلان) في يوم مضى، ولكنني أذكر أنني انصرفت من مجلسه، وأنا أحمد الله من قلبي على السلامة من كل ما هو فيه، حتى الثروة.. وحتى الملايين..

إنني قد أرحب بالثروة - وكل إنسان يرحب بها - ولكن على أن لا أشتريها بوقتي كله وبجهدي كله.. أي بحياتي.. إنني أريد أن أهب بعض هذه الحياة لذوقي، وبعضها لواجباتي ولما ترتاح إليه نفسي.. لا أن أهب هذه الحياة كلها للفاتورة والبضاعة والمخزن، والسعر، والبنك، والباخرة التي وصلت عليها الدفعة الأولى من الحديد والأسمنت.. والرسوم.. والضرائب.. وإدارة الميناء.. والملفات التي يقدمها إليَّ أكثر من موظف في وقت واحد.. ثم.. ثم.. القلق الدائم الذي تسببه حياة كهذه، لا سيما إذا كانت الظروف العالمية مشحونة بالمفاجآت.. ثم الهياج العصبي - أولاً وأخيراً - كلما اضطرب سوق العملة، أو ماطل عميل في التسديد، أو حصل خطأ في كشف الحساب.. أو أي سبب ولو كان تافهاً كخيانة موظف.. أو صديق!

لقد أخذت فكرة عن شيء كهذا يوم كنت في زيارة الشيخ فلان صاحب الملايين.

كان مجلسه - باختصار - حافلاً بأسباب الثروة والنعيم، ولكنه كان

في هذا المجلس نفسه محاطاً بأسباب العناء.. منها اثنان أو ثلاثة، ومع كل منهم ملف في يده، وقصة الملف على لسانه لصدور الأمر بما يجب.. ومنها أنا. وهذا وذاك.. من زوار (فلان) وفيهم من يستطيل الاقامة ومعه - غالباً - قصة (عشم) ورجاء.. وفيهم من يستطيلها بدافع المحبة فقط، ومنها أنه هو نفسه في الغالب على موعد مع أحد المسئولين، وقد أعطى موعداً لآخر في نفس الوقت الذي حل وهو في كرب عظيم من الأوراق والموظفين والمشاكل وحضرات الزوار.

أي بلاء هذا.. ؟

لقد قلت لصديقي الذي كان معي - أو كنت معه - في هذه الزيارة:

- هل تتمنى أن تكون فلاناً ؟

فأشرقت أساريره.. وارتفع حاجباه تحت نظارته قائلاً: هل هذا سؤال ؟ ألا تتمنى أنت أن تكون لك ثروته وملايينه؟!

قلت إنني أكره على أي حال أن أدفن نفسي مقدماً قبل الموت!. ثم إن المقصود هو أن تكون فلاناً.. لا بثروته وحدها.. بل بها، وبعقله وعواطفه وبمزاياه وبكل ماله وما عليه..

فصمت طويلاً.. ثم قال: لا..

وهكذا يبدو أن كلاّ منا لا يكره أن يجمع المزايا الطيبة التي يحبها ويتمناها، ويغبط أو يحسد من يتمتعون بها ولكنه يكره ذلك كما أظن إذا كان سيفقد نفسه وعقله الذي تفاهم معه طويلاً حتى ولو كان منحرفاً ومزاجه الذي تعوّده ولو كان سخيفاً بل.. وسحنته التي عرف نفسه وعرفه الناس بها ولو كان يتمنى أن لو لم تكن له هذه السحنة.. ولسانه الذي ينطق به ولو كان من نوع لا يُحسَدُ عليه، وأخلاقه التي لازمته كالظل حتى ولو لم يكن مهذباً!

إن هذا ربما كان يجب أن يترتب عليه أن يؤمن كل منا بواقعه فلا

تزوغ عينه إلى اليمين أو إلى اليسار، أو إلى ثروة (فلان) أو مجد (علان).. أي أن يبدو الانسان راضياً قرير العين بما هو فيه دائماً..

ومن هذا فإن أمنية من طراز أن يكون الانسان من أهل الملايين هي مدار رغبات وأحلام أكثر الناس، ولذلك فان كلا منا لا يرضيه واقعه، ويتمنى دائماً أن يكون غير ماكان.. حتى الذين تبدو التخمة عليهم مما قد يسيل له لعاب الآخرين لا تَمِلُّ أحلامهم من التطلع إلى المزيد ولو أدت التخمة إلى الانفجار.. أو إلى أن يواريهم التراب!

**مجلة الإذاعة السعودية - السنة الثانية**

# معنى العيد

كأنما جاء العيد تشريعاً لمعنى الفرحة واللقاء السعيد في صلاة موحدة وقلوب نتبادل من أعماقها، وعلى ألسنتنا وملامحنا، أطايب التهاني والأمنيات لأننا قد رجعنا إلى ما ألفناه من نظام حياتنا كما هو عليه قبل حلول شهر الصوم الكريم.

وكأنما جاء تشريع زكاة الفطر بهذه المناسبة تشريعاً لما يجب في حق من لا يستطيعون المشاركة فيها، وهم على خصاصة، ومن الحق انقاذهم منها ما أمكن ليفرحوا - ولو بعض الشيء - مثلنا.

وكيف يكون العيد عيداً إن لم تتحقق هذه المشاركة باسعاد المحتاجين إسعاداً صادقاً لا يشوبه المنّ أو يخالطه الرياء، وبتفقد من يقعدهم المرض أو أية معاناة أليمة عن المشاركة في مناسبة العيد السعيد إلا بدموعهم أو بآلامهم..

إن معنى المواساة في تفقد الآخرين لهم بالكلمة الطيبة، وبالمشاعر الصادقة، يفتح باب الأمل لهم والرجاء، ويلمس النفوس المغلقة على أحزانها بما يشبه دغدغة الهواء البارد الرقيق لأطرافنا بين لفح السموم!

ثم كيف يكون العيد صادقاً إذا لم نقذف بالبغضاء من قلوبنا كما نقذف من أمعائنا ما لا يطاق ؟

إذا كانت هناك قطيعة بين ذوي القربى والرحم أو بين الأصدقاء، أو إذا شاب أية علاقة بين بعضنا وبعضنا ما كدّر صفوها - فإن مناسبة العيد تكفي لمدِّ اليد في شعاع من القلب بمعنى التسامح والعفو، وإلا كان العيد كاذباً في جو الضغائن والبغضاء..

ما أطيب الإحسان للمسيء، والتجاوز عن المخطئ، والتسامح مع المقصر في مناسبة كهذه لعل ذلك يغير ما بأنفسنا.. فما يغيّر الله ما بقوم حتى يُغيِّروا ما بأنفسهم!

وأين نحن من ذلك وأكثرنا يستقبل العيد بهوى المعدة في الطعام أو بهوى القلب في تغيير الجو، أو بهوى النفس إجمالاً في كل ما لذ وطاب؟

إن شهر الصوم - إذا كان الصوم حقاً وبمعانيه الطيبة كلها - لم يَنقَض إلا الامساك المحدد فيه عن الطعام والشراب.. والعيد بعده فرصةٌ لامتداد الصوم عن كل ما ينبغي الصوم عنه في دنيا التعامل مع النفس ومع الآخرين، ومع الله كما أسلفت عند مطلع الشهر الكريم، أو كأنما العيد يلهمنا أن نَضْرِبَ في هذا الامتداد واتجاهه دائماً وإلى كل رمضان آخر.. ما حيينا.

(إقرأ) - العدد: ٤٧٧

بتاريخ : ٢١ /٩/ ١٤٠٤هـ

# المناسبة والمواجهة

ما أكثر ما يحتفل الناس بأعياد الميلاد، بما فيهم أولئك الذين قد لا ينبغي لهم مِثْلَ هذا الاحتفال لأنهم مسلمون، وظروفهم سيئة مع أهل هذه الأعياد، ولكن هوسة الاحتفال نفسها تدركهم، فمنهم من لا يبخل بأية نفقة على التجمل بكل ما يزهو به البيت وحديقته وأطرافها.. من الألوان المضيئة ومظاهر البذخ والترف والفن في أشجار الميلاد وتنسيقها، وفي كل ما يصور خيال المبدعين الهائمين مع أحلامهم.. وربما كانت النفقة التي تذهب هدرا في هذا السبيل تكفي لسد ضرورات معدمين ممن لا يكادون يجدون فضلات القوت!

وأنا أكتب هذا بعد أدركت أو أدركتني مقدمات ما يسمى «الكريسماس» في «لندن» ثم أدركني أو أدركت يومه المقرر وهو الرابع والعشرون من شهر ديسمبر ١٩٨٤م في الطائرة التي أقلتني إلى حيث ألقيت رحلي في «تورونتو» عابر سبيل إلى «هونولولو» ومع أن الثلج كان يكسو ملامح الأرض فقد كانت ملامح الاحتفال بأعياد الميلاد تكسوها أيضاً بكل شكل وضوء يبرز الثلج رائعاً ويتسابق هواة التزحلق عليه في ميدان أطلّ عليه من غرفتي الدافئة، وأدهش لفرحة الانسان في تسابق كهذا، كما أدهش لفرحته إجمالاً بميلاد عام جديد.

ويعرف الناس حتى الأغبياء والحمقى أن العام الجديد يعني

انقضاء عام من العمر، وأن الحياة قد لا تكون مرغوبة إلى حد أن يأسف الانسان لفراقها أو لأن عاماً ذهب من عمرها، ولكن المشكلة هي فيما بعد الحياة.. ماهو؟ وما مصير الانسان فيه لا سيما إذا كان مسيئاً؟.. وهذا المصير يزداد قرباً ونزداد قرباً منه كلما حل ميلاد عام جديد، فكيف يفرح الانسان إلا كفرحة الطفل بمناسبة كهذه فيها معنى الاحتراق .. يرقص عليه الطفل!

ثم ماذا بعد انتهاء الحياة ؟

انه بداية حياة أخرى لا يشك فيها من يؤمن بمن خلق كلّ ما لا نراه وما نراه ونحس فيه معنى القدرة والإبداع ؟ إن تصوّرها مرعب لأن تفاصيلها أكبر من التصور، وإن لم تكن أكبر من الايمان..

كيف سيواجه الانسان ويعايش ما لا يتصوره وإنما يؤمن به كل الإيمان ؟

وكيف - بالتالي - يحتفل بمناسبة تجرّه عاماً إلى مثل هذه المواجهة لولا أن الانسان يظل صغيراً وإن شاخ أو تفلسف أوغدا عبقري العباقرة !؟

وأطل من غرفتي مرة أخرى على شجر كثير مضيء تزدان به شوارع «تورونتو» وبعد لحظات تحسب بالأيام يطفئون الأنوار كلها في منتصف الليلة الأخيرة لحظة أقل من الثانية كالتي ينطفئ فيها عمر الإنسان أو الحياة كلها.. ليستأنف حياة أخرى هي حياة الخلود !

# ضد النوم

ينام الانسـان على أعصـابه أحياناً إذا تذكر شيئاً مُنَغِّصاً ـ أو أكثر ـ مَـرَّ به في يومـه الماضي، فـمـا يكاد ينسـاه، وتفـشل كل مـحـاولة لاستبعاده من تصوراته، حيث يبدو وكأنما هو ذو ملامح لا تنقطع عن التـزاحم في داخل نفسـه، كأنما هو قـد حـدث في التـو لا في زمـان مضى وانتهى قبل ساعات، وهكذا تتوتر أعصابه من جديد لحسـاب شيء مضى وانتهى، ويستدرجه الأرق للتفكير في أية وسائل لمقاومته، ولكن بدون جدوى.

ولا تخلو الحيـاة من المنغصـات يوميـاً كمـا لا أحتـاج أن أقـول، وفـي مقـدمتها أن لا يتـحقق مـا يرغبـه الانسان كـلاً أو بعضـاً، بل قد يتـحقق مـا لا يرغب سـواء كـان يكرهه أو لا يكرهـه ولا يحبّـه إذا صحّ مثـل هـذا المعنى..

وأياً كان الأمر فإن المنغصات يختلف ميزانها أو وزنها، كما يختلف وزن النـاس بطبيـعة تكوينهم وظروفهم وطاقـاتهم في مواجهتها بطبيـعة الحـال، فـقـد يسـتـهـول أحـدهـم مـا يراه الآخـرون تافـهـاً، ويسـتكثـر هـذا مايراه ذاك قليلاً.. إلى آخر المفارقات، غير أن النتيجة ـ أياً كان الأمر أو المستويات هـي أن يتقلب الانسان مع شعوره بالمنغصات ـ على فراش النوم بأعصاب ملؤها الأرق..



ثم لا ينام إلا اختلاساً، ويظل يتنقل من موضوع لآخر لينسى.. ولكن المنغّص يظل أقوى.. والعلاج عندئذ في نظري هو أن يتحفّز ضد النوم، وأن يغادر فراشه ليقرأ أو يكتب أو يعمل ما في وسعه ليكسب الوقت ولا يخسره في أرق طائش على الفراش.

ولقد يحدث بعد مثل هذه المحاولة أن يسترخي الجسد، ويذهب التوتر،، ويندمج الانسان في النوم وكأن شيئاً من الأرق لم يكن..

وإن لم يحدث ذلك فقد يحدث تطور من أدركه الأرق إلى شيء تافه أو عظيم.



# الفهـرس

فهرس.. فهرس.. فهرس.. فهرس..

فهرس... فهرس... فهرس... فهرس...

فهرس.. فهرس.. فهرس.. فهرس..




دار المرسى للنشر والتوزيع والدعاية والاعلان

جـدة - المملكة العربية السعودية

تليفون : ٦٦٥٧٤٥٥ - فاكس : ٦٦٥٧٦٠٥

ص . ب : ٣٩٨٩ جدة ٢١٤٨١

طبع بمطابع
دار الفنون للطباعة والنشر والتغليف
ص.ب ٧٤٣٢ جدة ٢١٤٦٢
تليفون ٦٥١٦١٣١ / ٦٥٣٠٧٦٨